

الفصل الثالث

شواعر الأندلس

المبحث الأول: الشواعر الجوّاري

المبحث الثاني: الشواعر الحرائر

oboiKandi.com

المبحث الأول
الشواعر الجوّاري

توطئه

- ١- العباديّة.
- ٢- اعتماد الرّمكيّة.
- ٣- بثينة بنت المعتمد بن عبّاد.
- ٤- أنس القلوب.
- ٥- غاية المنى
- ٦- عتبة.

توطئة:

مما يؤسف له، أن أكثر أسماء النساء التي جاءت في كتب المؤرخين جاءت عابرة لم يُغن بها الرواة. فقد أعرضوا عن تدوين أخبارهن، وأهملوا العناية بجمع أشعارهن. إلا ما جاء لِمأما في الذخيرة. والمغرب والصلة. والمطرب. ونزهة الجلساء. ونفح الطيب ... وهو تلميح خاطف ونزر قليل.

والعجيب أن هذا القليل المحدود الذي نُقلَ عن شواعر الأندلس كان يتناوله المؤلفون بعضهم عن بعض دون تبسط في النقل ولا استفاضة في البحث عن أحوالهن وذكر أخبارهن وأشعارهن. لذا اضطررنا أن نتقف أخبارهن من هنا وهناك، لنكشف النقاب عن شخصياتهن ومواهبهن. فرحنا نبحت في فهرسة ابن خير^(١) الأشبيلي المتوفي (٥٧٥هـ) علنا نعثر على تأليف لهن أو فيهن يرشدنا إليهن. فلم نقع إلا على كتاب تحت عنوان (رسالة الحرّة) للقاضي أبي بكر بن الطيب. ربما كان هذا تأليفاً في الحرائر من النساء لكنه فقد ولم يصل إلينا.

كما بحثنا في كتاب برنامج شيوخ الرعيني^(٢) المتوفي (٦٦٦هـ). لكننا لم نَعثر على شيء يُذكر عنهن.

لقد أشار الحميدي^(٣) المتوفي (٤٨٨هـ) إلى كتاب تحت عنوان (في النساء) لأبي إسماعيل بن عبد الرحمن بن علي محمد القرشي العامري. وذكر الضبي المتوفي (٥٩٩هـ) أن مُسلمة بن قاسم له كتاب (النساء)^(٤).

(١) فهرسة ابن خير الأشبيلي: ص ٢٥٧ ط. الثانية ١٩٦٣ مطبعة فومش بسر قسطة.

(٢) أبو الحسن علي بن محمد بن علي الرعيني الأشبيلي: برنامج شيوخ الرعيني. تحقيق إبراهيم شيوخ. المطبعة الهاشمية، دمشق ١٩٦٢م. مطبوعات مديرية أحياء التراث القديم - وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

(٣) جنوة المقتبس: ص ١٥٣ - ١٥٤.

(٤) بغية الملتبس: ص ٥٣١ ط. مدريد.

وعثرنا مصادفةً في هامش "المغرب في حلي المغرب" على كتاب لمؤلف مجهول تحت عنوان (ذهبية المساء في حلي النساء) ^(١) أشار إليه الدكتور شوقي ضيف محقق المغرب. بحثنا عنه ويبدو أنه لم يصل إلينا.

وقد أشار ابن عبد الملك المراكشي التوفي سنة (٧٠٣هـ) في مخطوطة الذيل والتكملة إلى أن الشاعرة فتحونة بنت جعفر والتي تعرف بام الفتح قد ألقت كتاباً في (قيان الأندلس) ^(٢). ولم يعين الفترة التي كانت تعيش فيها. ويبدو أن هذا الكتاب هو الآخر ضاع مع ما ضاع من التأليف.

فكتاب (في النساء) وكتاب (رسالة الحرة) وكتاب (النساء) وكتاب (ذهبية المساء في حلي النساء) وكتاب (قيان الأندلس). قد تكون هذه الكتب أشهر ما ألف في النساء الحرائر والجواري الأندلسيات لكنها ضاعت مع ما ضاع من تراثنا العربي في الأندلس.. وهو قليل جداً إذا قيس بتأليف المشاركة حول نسائهم ، وأقصد التأليف المفقودة منها والموجودة.

لقد نشر الدكتور صلاح الدين المنجد مقالاً تحت عنوان من تراثنا المفقود (ما ألف عن النساء) ^(٣) ذكر فيه تأليف وتصانيف خصوصاً بالمرأة وجنسها، وجلّوا فيها عن أسرار وأخبار، لم يدعوا أمراً أدركوا صلتها بهنّ إلا تكلموا عليه وبحثوا فيه. ولو أن هذا التراث العظيم كان قد سلّم، لرأينا من لطائف وطرائفه كل معجب مطرب، ولسمعنا من أخبار النساء وأحاديثهن وأسرارهن كل رقيق جميل.. أمّا شواعر الأندلس فلم يصل إلينا تأليف مستقل عنهن..

(١) انظر هامش المغرب : ج١ ص١٤٣.

(٢) أبو عبد الله بن عبد الملك: مخطوطة الذيل والتكملة - القسم المخطوط بالرباط تحت رقم (١٧٠٥ د) نقلاً عن محمد منتصر الريسوني: الشعر النسوي: ص١٤٥.

(٣) انظر مقال الدكتور صلاح الدين المنجد: مجلة المجمع العلمي العربي - دمشق المجلد السادس عشر - الجزء الأول والثاني: ص٢١٢-٢١٩. مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٩٤١.

يُعَدُّ ابْنُ بِسَامِ الْمَتَوَفَى (٥٤٢هـ) من أقدم وأوثق المؤرخين للأخبار الأندلسية . وهو قريبٌ عهد من ملوك الطوائف.

يذكر مؤكداً ضياع الكتب والمؤلفات فيقول إنهم (ألفوا كتباً لكنها لم تصل إلينا) ^(١) . إذا كان هذا حال الرواة القريبى العهد بالشاعرات؟! فكيف تصل إلينا مؤلفاتهم؟ بعد أن طال الزمان وبعد المكان وأصبحت القرون تُعَدُّ بالعشرات!?! .

يُعَدُّ أحدُ الباحثين قلة أخبارهن، ذلك : لأن أكثر الكتب التي وصلت إلينا عن حياة الأندلس ألف بعد سقوط ذلك البلد العظيم. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى. أنه ألف في بلد خفي فيه أدب المرأة عن منال الأقلام فلم يحفل كتابها بها ^(٢)...!!

ولا ندري لم أغرض الرواة عنهن ولم يبحثوا في شؤونهن وأخبارهن وأحاديثهن. ولماذا أغفلوا ذكر الموضوعات الخاصة بهن كذكر أحوالهن الدينية أو دورهن وصلتهن بأزواجهن . ولم يعنوا حتى بأخبار القيان والجوارى الشاعرات والمغنيات، والنوائح ، وأمهات الأولاد.

إن هذه القضية تُثيرُ الاستغراب !! إلى حدٍ بعيد. بعد أن إطلعنا على صورهن في المباحث السابقة لمسنا مدى شغف الشعراء والوزراء والملوك بهن ^(٣)، وحرص الآباء على تعليم وتثقيف بناتهم، وتشجيعهن على نظم الشعر. علماً أن أكثر النسوة اللاتي لمعت أسماؤهن من الجوارى الحسان. وكانت تقاس قيمتها بقدر جمالها وحسن صوتها وإهتمامها وقولها للشعر ^(٤). لذا اسرفوا في تعليمهن وذهابهم بهن كل مبلغ للرفع من أقدارهن ورفع مستواهن المادي والعقلي بحيث أصبحن طبقة اجتماعية

(١) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ١٣٥ .

(٢) المرأة العربية : ج ٣ ص ١٤٨ .

(٣) أنظر ديوان ابن زيدون: تحقيق علي عبد العظيم . وديوان المعتمد. تحقيق أحمد أحمد بدوي.

(٤) باقر سماكة: التجديد في الأدب الأندلسي : ص ١٣٣ مطبعة الإيمان بغداد ١٩٧١ .

ينظر إليهن باعجاب واحترام^(١).. فعدهن أحمد الباحثين ضمن الطبقة الارستقراطية لتقدمهن^(٢).. وكان أثرهن فيما بعد واضحاً فأصبحن يفقهن الأدب ويحسن نظمه^(٣).

وبعد أن تعرفنا على مختلف أصنافهن من أمهات وزوجات وحبوبات وحرائر كن أم جاريات. نستطيع أن نقول بأن الأندلس أنجبت في عصر الطوائف^(٤) شواعر لا زالت العيون بعد مضي القرون ترنو لهن بكل إعجاب. لما وجدنا في حياتهن من أمثلة رائعة للحياة العاطفية المعبرة عن قصص حبهن ونوادرهن. إلا أن أشعارهن كانت كما قيل غيضاً من فيض. ربما تعود لأسباب نفسية خاصة بالرواة. أو تحيزاً للرجل. ز. فقد سجل لنا ابن بسام (ت ٥٤٢ هـ) بحق الشاعرة ولادة بنت^(٥) المستكفي قوله (وكانت زعموا تقرأ أبياتاً من الشعر وقد قرأت أشياء منه في بعض التعاليق أضربت عن ذكره وطويته بأسره لأن أكثره هجاء وليس له عندي إعادة ولا إبداء ولا من كتابي في أرض ولا سماء)^(٦). وهكذا يبدو اعترافه واضحاً وهو سيد الأدلة .. فس أنت !! إذا كان هذا حال الشاعرة الحرة المشهورة من بنات الخلفاء مع الرواة. فكيف بالجواري الشاعرات أو المغمورات من النساء الشواعر !! ثم إن هذه الأخبار المدونة عوملت بطريقة غير أمينة. ناهيك عن الأخبار المروية حتماً أهملت ولم تدون .. وعلى ما نعتقد أن هذه من الأسباب المباشرة التي شاركت في قلة أشعارهن وندرة أخبارهن^(٧). وليس من المعقول أن شعر الجواري إقتصر على تلك المطارحات وبضعة الأبيات التي نقلت عنهن، ولا سيما أن كل واحدة منهن قد نعتها

(١) انظر الفصل الأول من هذا البحث / المبحث الخاص بصورة الجارية.

(٢) أشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص ٩٨.

(٣) في الأدب الأندلسي : ص ٩٧.

(٤) النفع : ج ٦ م ٣ ص ١٩ - ٣٣.

(٥) سندر لها ترجمة وافية في مبحث لاحق.

(٦) النخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٣٢.

(٧) النقد الأدبي في الأندلس : ص ٣٩.

رواة أخبارها بأنها (شاعرة الأندلس) (١) أو أنها (اشعر نساء زمانها) (٢) فعقوا عن أشعارهن (٣) لأن ما فيه من لطف ورقة جعله ركيكاً في نظرهم ، فأنفوا نقله. أو لأنهم رجال. غيظوا أن تسابقهم النساء في ميدان الشعر فيسبقنهم في الرقة ، وصدق العاطفة وجمال التعبير (٤).

لذا نجد الرواة في أخبارهن قد اقتصرُوا تلميحاً وتلميحاً على تهتكهن وضروب آرائهن وسيطرتهن على قلوب الرجال. فطمست معالمهن الشعرية. إن هؤلاء الجوارى وإن تمتعن بالحظوة عند الأندلسيين، ولكنهن لم يدركن ما أدرك زميلاتهن في المشرق من مرتبة أدبية سامية. لذا بقين متخلفات في النواحي الثقافية بالنسبة للحرائر الأندلسيات (٥). ولم يبلغن في الغناء مبلغهن أيضاً (٦). ولا ننس المجالس وندوات الطرب والغناء والكؤوس والشراب وتأثيرها البالغ. بل هي التي ألهمت المرأة أن تراحم في هذا الميدان وتشغل في المجتمع الأندلسي هذا الفراغ (٧).

وتصدت لفنون الأدب جميعاً وامعنت في كل ذلك إمعاناً أعيا على الرجل إدراكه في مواطن كثيرة (٨) ولا سيما في إجازتها للأبيات الشعرية (٩) ويبدو أن عصر

(١) المغرب : ج ٢ ص ١٤٥ . وانظر نفع الطيب : ج ١ م ٣ ص ٢٣ . (أو ختساء المغرب وهي حمدونة بنت زياد).

(٢) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٢٩ .

(٣) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٣٢ . وانظر النساء العربيات : ص ٥١ .

(٤) النساء العربيات : ص ٥١ .

(٥) المرأة في حضارة العرب : ص ٢٥٩ .

(٦) فايد العرنوسي: الجوارى المغنيات: ص ١١ مطبعة دار المعارف. مصر ١٩٦١ .

(٧) تاريخ الأدب العربي: ص ٢٢٤ .

(٨) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ج ٢ ص ١٤٠ .

(٩) فتح الطيب : ج ٥ م ٣ ص ١٩ - ج ٦ م ٣ ص ٢٢ - ٢٣ .

الطوائف كان عصر مطارحة وإجازة للشعر بين الجواري والشعراء وعصر مساجلة ومناظرة بين الشواعر الحرائر والشعراء^(١).

وأكثر ما تكون الغلبة والنجاح للمرأة فقد كانت أسرع بديهياً وأكثر حاضرة وأرقّ طبعاً.

ومما يلاحظ هو كثرة الجواري الشواعر في القرن الخامس الهجري، في حين لا تكاد تقع إلا على عدد قليل منهم في القرنين الثاني والثالث كالجارية العجفاء وقمر.

إن أول جارية شاعرة ظهرت في الأندلس هي من وافدات المشرق عرفت بصفتها (الجارية العجفاء)^(٢) كانت صفراء هزيلة ضعيفة نحيلة. وكانت تتقن فن قول الشعر الوجداني والغناء الذي يهز المشاعر ويخاطب العاطفة سمع بها عبد الرحمن الداخل (المتوفي سنة ١٧٢هـ) فبعث لشرائها واستقدمها ففتحت باب الغناء للجواري الأندلسيات .. في القرن الثاني الهجري.

والجارية الثانية التي ظهرت على مسرح الحياة في القرن الثالث الهجري هي (قمر)^(٣) جارية إبراهيم بن الحجاج المتوفي سنة (٢٨٨هـ). اشتراها بعد أن سمع عن براعتها في الغناء وذكاؤها وحسن تدريبها على قول الشعر. وكانت مطبوعة جمعت بين الظرف والأدب. جاءت من بغداد وسكنت أشبيلية. ومدحت مولاها إبراهيم بن حجاج قائلة:- [الكامل]

ما في المغارب من كريم يُرتجى
إلا حليفُ الجودِ إبراهيمُ

(١) انظر الإحاطة : ج١ ص ٤٢٣- ٤٣٥.

(٢) نفح الطيب : ج٤ م ٢ ص ١٤٨.

(٣) نفح الطيب: ج٤ م ٢ ص ١٣٧.

فازدري بها نساء العرب . وأخذن يتهامسن إذا مرت ويتغامزن^(١) إذا عنت
فقال^(٢): [البسيط]

قالوا أنت قمر في زي أطمار من بعد ما هتكت قلباً بأشفار

وحبُّ الوطنِ غريزةٌ راسخةٌ في الكيانِ الإنساني ، فسرعان ما تشوقت إلى
بغداد مدينة السحر والجمال وعاصمة الدنيا آنذاك فانشدت:-[الكامل]

أها على بغدادها وعراقها وظبائها والسحر في أحداقها
ومجالها عند الفرات بأوجه تبداوا أهلتها على أطواقها

وتعدُّ قمر هذه هي التي إعتدت بناء الأدب النسوي بالأندلس^(٣).

وقد سبق أن تحدثنا بالتفصيل عن صورة الجارية في الفصل الأول في الشعر
وتبين لنا من خلال ذلك الحديث .. علاقتهم بالرجال، ومواقفهم في الحياة العاطفية ،
ومنهم من سجلت وفاءً نادراً ومنهم من كانت متقلبة الأهواء.

وسجلنا صوراً للجواري المغنيات والراقصات والعودات والموسيقيات
والقوامات.

سنحاول تقديم ترجمة موجزة لكل شاعرة جارية عاشت ضمن فترة
الطوائف.

(١) أعمال الإعلام: ص ٣٥.

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢١.

(٣) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ج ٣ ص ٥١.

(١) العبادية : (١)

وهي شاعرة من الجواري الأندلسيات اللاتي عشن ضمن فترة القرن الخامس
أهداها مجاهد العامري المتوفي سنة (٤٣٦هـ) من دانية^(٢). إلى المَعْتَضِدِ بالله^(٣)
عباد بن محمد بن عباد المتوفي سنة (٤٦١هـ)^(٤) وسكنت إشبيلية.

وكانت أدبيةً ظريفة، كاتبة، شاعرة من أشعر شواعر زمانها^(٥) ذاكرة لكثير
من اللغة (فصيحة العبارة لطيفة الإشارة حاضرة الرواية قريبة النادرة، لها المام تام
بضروب الغناء)^(٦). وكانت من توقد قريحتها وحضور بديتها، ترتجل الشعر
والأمثال^(٧) .. (وقد أرق المَعْتَضِدُ ليلته)^(٨) .. (لأمر حزبه وهي نائمة)^(٩)
فقال^(١٠):- [المتقارب]

(١) نفع الطيب: ج ٦ م ٣ ص ١٩. الدر المنثور: ص ٣٢٧. أعلام النساء في عالمي العرب
والإسلام: ج ٣ ص ٢٢٧ ط. الثانية ١٩٥٨. الهاشمية.

(٢) دانية: مدينة تقع شرقي الأندلس أنظر خارطة الأندلس في عصر الطوائف في المصدر نفسه.
مجاهد العامري: مؤسس الدولة العامرية في دانية توفي سنة (٤٣٦هـ).

(٣) إلام النساء: ج ٣ ص ٢٢٧.

(٤) المعجب: ص ١٠١.

(٥) إلام النساء: ج ٣ ص ١٢٧.

(٦) الدر المنثور: ص ٣٢٧.

المعتضد بالله: (أبو عمرو عباد) بن القاضي محمد بن إسماعيل بن عباد ولد سنة (٤٠٧هـ).
ارتقى عرش أشبيلية سنة (٤٣٣هـ) وكان أقوى ملوك الأندلس والمسلمين .. وقيل إن سبب
وفاته حزنه على ابنته الصغيرة حزناً شديداً حتى أدركه الموت. ترجم له ابن بسام في
الذخيرة. وانظر أعمال الإعلام: ص ١٥٤.

(٧) الدر المنثور: ص ٣٢٧.

(٨) الشعر النسوي في الأندلس: ص ٩٨.

(٩) النفع: ج ٦ م ٣ ص ١٩.

(١٠) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وَتَصْبِرُ عَنْهُ وَلَا يَصْبِرُ

تَتَأَمُّ وَمَدَّ نَفْهَا يَسْهَرُ

فأجابته على البديهة بقولها: -

سَيِّهْلِكَ وَجَدًّا وَلَا يَشْعِرُ

لِنَّ دَامَ هَذَا وَهَذَا لَهْ

لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ نِتَاجِهَا الشُّعْرِي إِلَّا هَذَا الْبَيْتُ الْيَتِيمُ. فماذا حلَّ بشعرها؟!!

بعد إطلاعنا على أخبار هذه الجارية في بلاط العباديين يتبين لنا خضوع الملوك للمرأة الجارية واستصغارهم لملكهم أمام عاطفتهم وسلطان وجدهم فالمحبوبة عندهم مصدر للحياة والإلهام. حيث سجل^(١) لنا المعتضد صورة للوله بالجوارى وإن كانت ظاهرة شائعة في الأدب.

(٢) اعتماد الرُمَيْكِيَّة : - (٢)

كانت جارية للرميك بن الحجاج^(٣) : وعن طريق الشعر تعرف بها^(٤) المعتمد

بن عباد المتوفي (٤٨٨هـ) وكان سبب شرائها من مولاها المذكور.

(١) ديوان المعتمد بن عباد : ص ١٧ . انظر المقدمة تحقيق أحمد بدوي تجد ذكراً للجوارى منهن (جوهره، وداد، سحر، قمر). وانظر فصل المعتمد والنساء في ديوان المعتمد : ص ٦٠ - ٨٢ تحقيق د. صلاح خالص.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد الأثبيلي : ص ٦١-٦٤. ط. د. صلاح خالص . وانظر الحلة السبراء

: ج ٢ ص ٦٢. المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص ١٤٦. الإحاطة في أخبار غرناطة:

ج ٢ ص ١١٩. ط. القاهرة. ٧٤. وفيات الأعيان : ج ٤ ص ٥٦.

نفع الطيب : ج ٥ م ٣ ص ٣٤٢ - ٣٤٣ - وج ٦ م ٣ ص ٨ - ٩. محمد بن عمار الأندلسي :

ص ٧٢ - ٧٣. ثروت أباطة : ابن عمار: ص ٥٣. الدر المنثور في طبقات ربات الخدور:

ص ٤١. أعلام النساء: ج ١ ص ٧١. عبد الله عفيفي : المرأة العربية ج ٣ ص ٥٨. النساء

العربيات: ص ٥٠. نكل مختارات من الشعر الأندلسي : ص ٨٨. جودت الركابي : في الأدب

الأندلسي: ص ٩٢. د. عمر الدقاق : ملامح الشعر الأندلسي: ص ١٦٦. الشعر في ظل بنى

عباد: ص ١٩. الشعر النسوي في الأندلس: ص ٩٩ - ١٠١.

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص ١٥٥. مختارات من الشعر الأندلسي: ص ٨٨، انظر

هامش ط ١٩٤٩. الشعر النسوي في الأندلس: ص ١٠٠.

(٤) النفع : ج ٥ م ٣ ص ٣٤٢. الدر المنثور : ص ٤١. في الأدب الأندلسي: ص ٩٢.

ذَكَرَ^(١) أن المعتمد رَكِبَ في النهرِ ، وَمَعَهُ ابنُ عمار وزيره المتوفى
(٤٧٧هـ) وقد زَرَدَتْ الرِيحُ النهرَ ، فقال المعتمد لوزيره ابن عمار ...

أجز (صنع الرِيحُ من الماءِ زَرَدًا)^(٢) ... فأطال الوزير الفكرة مع كونه شاعراً
بعد أن طال التأمل إنبرت امرأة من الموجودات على ضفة النهر ، من الغاسلات ،
فأجابت: (أَيُّ دِرْعٍ لِقَتَالِ لَوْ جَمَدٍ)^(٣) فأعجب ابنُ عبادُ من حُسنِ ما أُتت به. فَنَظَرَ
إليها فإذا هي غاية في الجمال .. ولم يملك نَفْسَهُ من شِدَّةِ الدَّهْشَةِ ، فَسَأَلَهَا: أذاتُ زوج
هي^(٤)، فقالت: لا . فاشتراها وتزوجها^(٥).

وقيل تلقب بالمعتمد بعد ارتباطه بها حيث كان يلقب بالمؤيد والظافر^(٦) لينتظم
اسمه حروف اسمها^(٧). اقترباً منها وإجلالاً لها^(٨). وقيل أنه غيّر اسم (روميكا) إلى
اعتماد^(٩). وعُرِفَتْ فيما بعد بـ(السيدة الكبرى) وكانت تكتي بـ (أم الربيع)^(١٠) ..
وأنجبت منه الملوك. والأميرة بثينة^(١١).

إن بثينة^(١٢) بنت المعتمد بن عباد خلفها من اعتماد الرميكية على ما جاء في
المصادر . لكنه خلف أولاداً ملوكاً نذكر منهم على سبيل المثال . أبا خالد يزيد

(١) النفع : ج ٥ م ٣ ص ٣٤٢.

(٢) الزرد: الدرع المزرودة، سميت به للينها وتداخل بعضها في بعض، وعند العامة الحلق
الصغير. وزرد الحبل ونحوه أي شدّ عقده ، والزرد السريع الإبتلاع. انظر - بطرس البستاني
: محيط المحيط : ج ٢ ص ٨٦٢ ط ١ بيروت نقلاً عن الطبعة الأولى ١٨٧٠. والمنجد في
اللغة: ط الثانية والعشرون - دار المشرق.

(٣) النفع: ج ٥ م ٢ ص ٣٤٢ . نستمحيكم عنرا لتكرار البيت في مبحث سابق .

(٤) الشعر النسوي في الأندلس: ص ٩٩.

(٥) النفع : ج ٥ م ٣ ص ٣٤٢.

(٦) قلند العقيان: ص ١٢ . ط. باريس.

(٧) الشعر في ظل بني عباد : ١٩ .

(٨) ملامح الشعر الأندلسي : ص ١٦٦.

(٩) ثروت أباظة : ابن عمار ص ٤٤.

(١٠) انظر ديوان المعتمد بن عباد: المقدمة، طبعة أحمد أحمد بدوي.

(١١) سنذكر ترجمتها مفصلة لاحقاً. النفع: ج ٥ م ٣ ص ٣٤٢.

(١٢) وردت بعض أخبارها وأشعارها في : ديوان المعتمد ص ١٠٨ . ونفع الطيب: ج ٦ م
ص ٢٠ - ٣٢١ . وانظر المعتمد بن عباد: د. عزام : ص ١٠١ - ١٠٢ . ونيكل : مختارات من
الشعر الأندلسي : ص ١٠٥ - ١٠٦ ط. دار العلم للملايين - ١٩٤٩ .

(الراضي) بن محمد المعتمد ، قتل في سنة (٤٨٤هـ) ^(١) ، وأبا نصر عباد (المأمون)
بن محمد المعتمد، قتل في قرطبة سنة (٤٨٤هـ) ^(٢) وعبد الجبار بن المعتمد، قتل
بعد سنة (٤٨٤هـ) ^(٣) وعبيد الله (الرشيد). توفي (٥٣٠هـ) ^(٤).

وقد كَفَّ زَوْجُهَا بِمَطَالِيئِهَا وَكَانَتْ (لَا تَشْعُرُ بِأَنَّ فِي الْحَيَاةِ أَمْنِيَةً عَزِيزَةً أَوْ
مَطْلَبًا بَعِيدًا ، فَمَا نَزَعَتْ نَفْسَهَا إِلَى شَيْءٍ حَتَّى وَجَدْتَهُ بَيْنَ يَدَيْهَا عَلَى أَحْسَنِ صَوْرَةٍ
وَأَتْمَ وَجْهِ) ^(٥) . وكان حب الملك لهذه المرأة الحسنة المدللة خير معين لها في تنفيذ
رغباتها ونزواتها واستجابته لها ^(٦) . وقصة يوم الطين في تاريخ علاقتهما
مشهورة ^(٧) . بحيث أصبح مضرِباً للأمثال .. لذا نَقَمَ عَلَيْهَا رِجَالُ الْبَلَدِ وَلَمْ يَرْقِ لَهُمْ
إِسْرَافُهَا وَشِدَّةُ تَأْثِيرِهَا فِي الْمَعْتَمَدِ ، وَمَقْتَوْا إِسْمَهَا وَاشْتَمَازُوا مِنْهَا ^(٨) . بينما كانت اعتماد
الشخص الوحيد الذي شارك المعتمد في سرائره وضرائه حتى نهاية حياته في منفاه

(١) انظر اخباره في فلاندة العقيان: ص ٣٢ وما بعدها. ديوان المعتمد: ص ٤٦-٦٨-٧٠-١٠٥-
١٠٧ . خريدة القصر ج ١١ ص ١٥٣. الحلة السيرة : ج ٢ ص ٦٢-٧٠ . المطرب :
ص ٤٤ . المعجب : ص ٢١٤ . نفع الطيب: ج ٣ ص ٣٨٣ - ٣٨٥ .

(٢) انظر ديوان المعتمد: ص ٦٨ - ٧٠ - ١٠٥ - ١٠٧ . وانظر الحلة السيرة : ج ٢ ص ٦٢ .

(٣) ديوان المعتمد : ص ١١٦ . نفع الطيب: ج ٥ ص ٣٤٩ .

* المعتمد بن عباد: كان ملكاً وشاعراً محسناً . ويطلا شجاعاً وجواداً ممدحاً. كان بابه محط الرجال
وكعبة الآمال وشعره في الذروة العليا. سجن باغمات حتى مات فيها (٤٨٨هـ).

(٤) ديوان المعتمد : ص ٢٤ - ٧٦ - ٩٣ . الحلة السيرة ج ٢ ص ٦٨ .

(٥) المرأة العربية : ج ٣ ص ٥٨ .

(٦) المعتمد بن عباد الأشبيلي : ص ٦١ .

(٧) النفع : ج ٦ ص ٩ .

(٨) محمد مجيد السعيد: الشعر في ظل بني عباد: ص ١٩ ، عن ملوك الطوائف: ص ٢٠٨ ، وانظر
ملاحم من الشعر الأندلسي : ص ١٦٦ - ١٦٧ .

* يوم الطين: قيل إنها رأت الناس يمشون في الطين ، فاشتتت المشي في الطين فأمر المعتمد،
فسحقت أشياء من الطيب، وذرّت في ساحة القصر حتى عمته ثم نصبت الغرابيل وصبّ فيها
ماء الورد على اخلاط الطيب، وعجنت بالأيدي حتى عادت كالطين وخاضتها مع جواريتها.
وغاضبها في بعض الأيام. فأقسمت أنها لم تر منه خيراً قط فقال : ولا يوم الطين؟ فاستحيت
واعترت.

انظر الفتح : ج ٦ ص ٩ .

النهائي^(١). وكثيراً ما كان المعتمد يأنس بها، (ويستظرف نوادرها، ولم تكن لها معرفة بالغناء وإنما كانت مليحة الوجه، حسنة الحديث، حلوة النادرة. كثيرة الفكاهة لما في كل ذلك نوادر محكية)^(٢). يقول أحد الباحثين (إن أدبها الجَم وذكاءها أو صلاحها بالمعتمد)^(٣). في حين لم يصل إلينا من شعرها سوى ثلاثة أبيات ليس من الشعر بشيء . ولم يرولها من الشعر (شيء يذكر)^(٤).

عندما التقى المعتمد بهذه الجارية الساحرة كان معه صديقه الوزير الشاعر ابن عمار الأندلسي (٤٧٧هـ) إلا أنه أصبح عدوه اللدود في آخر حياته، وسبب هذا العداء العنيف هو هجاء ابن عمار للمعتمد وزوجته الرميكية^(٥) بقصيدته اللامية^(٦) الشهيرة:- [المتقارب]

أناخوا جمالاً وحازوا جمالاً	ألاَ حَيَّ بِالْغَرْبِ حَيًّا حَلالاً
وَنَمَّ فَعَسَى أَنْ تَرَاهَا خيالاً	وعرَّجَ بيومين أم القري
رميكية ما تُساوي عقلاً	تخيرتها من بنات الهجان

وقيل إن ابن عباد حقد علي ابن عمار قوله^(٧): [البيسيط]

-
- (١) محمد بن عمار الأندلسي: ص ٧٢- ٧٣.
- (٢) النفح: ج ٦ م ٣ ص ٨. وانظر أعلام النساء: ج ١ ص ٧١.
- (٣) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص ٢٥٠.
- (٤) النساء العربيات: ص ٥٠.
- (٥) المعتمد بن عباد: ص ٦٣- ٦٤. محمد بن عمار الأندلسي: ص ٧٣.
- (٦) ديوان ابن عمار الأندلسي: ص ١٢٢- ١٢٣- جمعه وصححه صلاح خالص (ملحق لرسالة دكتوراه).
- يومين: قرية بأشبيلية كانت منها أولية بني عباد. النفح: ج ٥ م ٣ ص ٣٤٣.
- (٧) لم ترد الأبيات في ديوان ابن عمار. وانظر محمد عبد المنعم خفاجة: قصة الأدب في الأندلس: ص ٤١٩ طز بيروت، ١٩٦٢. ولقد ورد في المعجب أن ابن عباد قتله سنة (٤٧٩هـ). المعجب: ص ١٢٧.

مِمَّا يُزْهَدُنِي فِي أَرْضِ أُنْدَلُسِ أَسْمَاءَ مَعْتَصِدٍ فِيهَا وَمَعْتَمِدِ
الْقَابِ مَمْلَكَةٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا كَالهَرِّ يَحْكِي انْتِفَاضاً صَوْلَةَ الْأَسَدِ

فلربما كان هذا سبباً ، مع الهجاء المقذع وإغراء الرميكية للمعتمد فقتله
(وضربه بالطبرزين) ^(١) وتركه في رأسه . فقالت الرميكية: (قد بقي ابن عمار
هذهداً) ^(٢).

ومن مأثور أقوالها أنها قالت للمعتمد وقد مرض : (يا سيدي ، ما لنا قدرة
على مَرْضَانِكَ فِي مَرْضَاتِكَ) ^(٣) وكانت تقصد ما لنا قدرة على رضاك في حالة
مرضك.

ولما سجن أبو القاسم ابن عباد بأغامت ^(٤). قالت له: يا سيدي لقد هُنَا هُنَا ،
فقال ^(٥):-

قَالَتْ لَقَدْ هُنَا هُنَا مَوْلَايَ أَيْنَ جَاهِنَا
قُلْتُ لَهَا إِيهِنَا صَيِّرْنَا إِلَى هِنَا

واتفق أن السيدة الكبرى (أمّ بثينة اعتلت) ^(٦) فكتب المعتمد إلى الطبيب
الوزير أبي العلاء زهر بن عبد الملك المتوفي سنة (٥٢٥هـ) راغباً في علاج
زوجته إعتام متمنياً (مطالعة أحوالها بنفسه) ^(٧) . فكتب إليه الوزير مؤدياً حقة
ومجيباً له عن رسالته ومُسَعِّفاً له في طلبه ^(٨). إِلَّا أَنْ مَنِيَّتْهَا لَمْ تَمْلِهَا فَتَوَفِيَتْ بِأَغَمَاتِ

(١) المعجب: ص ١٢٩ ، وانظر النفح: ج ٥ م ٣ ص ٣٤٣ . الطبرزين: الفأس .

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها. وانظر الدر المنثور: ص ٤١.

(٤) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٥) النفح: ج ٥ م ٣ ص ٣٤٣ . الدر المنثور: ص ٤١.

(٦) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص ١٥٥ .

(٧) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

قبل زوجها سنة (٤٨٨هـ) (١). ودفنت فيها. وجزع المعتمد عليها جزءاً شديداً فأسرع اللحاق بها في ربيع الأول من سنة ثمان وثمانين وأربعمائة (٢). وقد زار قبريهما لسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة (٧٧٦هـ). وأنشد:- [البيضا]

قد زرت قبرك عن طوع بأغمت (٣)

رأيت ذلك من أولى المهمات

وقد زار قبريهما المقرئ سنة (١٠١٠هـ) قال:-

(فرأيته في ربوة حسبما وصفه ابن الخطيب وإلى جنبه قبر اعتماد حظيته، مولاة رميك. وعليها هيئة التغرب ومعاناة الخمول من بعد الملك) (٤).

لقد زهت اعتماد في دولة بني عباد كما زهت الدولة بها. وفي ذلك يقول ابن اللبانة المتوفى سنة (٥٠٧هـ): (إن الدولة العبادية بالأندلس أشبه شيء بالدولة العباسية ببغداد سعة مكارم، وجمع فضائل، ولذلك ألف فيها كتاباً مستقلاً سماه (الإعتماد، في أخبار بني عباد) (٥) .. يبدو أن تأثير اعتماد له صدى يُذكر على العباديين. بحيث ألقت فيها كتبٌ وسميت بأسمها، ربما جمَع فيها أشعارها ونواثرها الظريفة. لكنها ضاعت. وربما يُعثرُ عليها يوماً فيرفع الحجاب ويكشف النقاب عن وجه هذه الشخصية الذكيّة الفذة التي شغلت المعتمد بدلالها وجمالها.

(١) اعلام النساء : ج١ ص ٧١.

(٢) الإحاطة في اخبار غرناطة: ج٢ ص ١١٩.

(٣) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص ١٤٦.

أغمت: مدينتان - أحدهما تسمى أغمت وريكة والأخرى أغمت هيلانة. تقع بارض المغرب بقرب وادي درعة وبينها وبين نفيس مرحلة . انظر الحميري: الروض المعطار: ص ٤٦؛ (أغمت).

(٤) المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ص ١٤٦.

(٥) النفع: ج٥ م ٣ ص ٣٨٨.

(٣) بثينة بنت المعتمد بن عباد (١) : -

بثينة ، شاعرة نهلت الشعر من ذويها، كما ورثت الجمال عن أمها (الريميكية). فولدها ملك وشاعر مطبوع. والدتها شاعرة ظريفة. فجاءت (نحواً منها في الجمال والنادرة ونظم الشعر) (٢) وكانت (حاضرة الجواب سريعة الخاطر حلوة النادرة) (٣).

إن هذه الشاعرة ضُمَّتْ تَحْتَ الشَّوَاغِرِ الجَوَارِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهَا حُرَّةٌ مِنْ صَنْبِ مَلُوكٍ. لَكِنَّ الدُّنْيَا لَا تَدُومُ عَلَى حَالٍ. كَمَا قِيلَ - حَيْثُ وَقَعَتْ أُسِيرَةً فِي جَمَلَةٍ مِنْ سَبِي فِي قَصْرِ أَبِيهَا(٤). فَوَلَّهُ عَلَيْهَا المَعْتَمِدَ وَالرَّمِيكِيَّةَ. وَلَا يَعْلَمَانِ مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُهَا(٥). وَبِيعَتْ مِنْ أَحَدِ تِجَارِ أَشْبِيلِيَّةٍ عَلَى أَنَّهَا جَارِيَةٌ سَرِيَّةٌ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ مِنْ أَمْرِهَا شَيْئاً مَعْتَقِداً أَنَّهَا وَاحِدَةٌ مِنَ الجَوَارِي. (وَأَهْدَاهَا لِابْنِهِ) (٦) فَلَمَّا أَرَادَ ابْنُ التَّاجِرِ الدَّخُولَ عَلَيْهَا، وَرَأَتْ الْجِدَّ فِي الْأَمْرِ امْتَنَعَتْ وَأَظْهَرَتْ نَسَبَهَا وَقَالَتْ لَا أَحْلَ لَكَ إِلَّا بَعْدَ

(١) النفح : ج ٦ م ٣ ص ٢٠-٢١. وانظر الدر المنثور: ص ٨٩-٩٠ واعلام النساء في عالمي العرب والإسلام: ج ١ ص ١١٨-١١٩. وبشير يموت شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام ص ٢/٢ ط الأديبي - ١٩٣٤م. المطبعة الوطنية. عبد البديع صقر. شاعرات العرب : ص ٢٧-٢٨ ط. الأديبي ١٩٦٧م. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ج ٣ ص ١٣٤ - ١٣٥. آر. نيكل: مختارات من الشعر الأندلسي: ص ١٠٤-١٠٦. المرأة في حضارة العرب والعرب في حضارة المرأة: ص ٢٤٧-٢٤٨. المعتمد بن عباد الأشبيلي: ص ٨٣. إبراهيم أبو الخشب: تاريخ الأدب العربي في اندلس: ص ٢٣٣-٢٣٥. عمر فروخ : الأدب العربي في المغرب والأندلس: ج ٤ ص ٧٢١-٧٢٢. الشعر النسوي في الأندلس: ص ١٠٢-١٠٣. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص ١٦٩ - ١٧١.

(٢) النفح : ج ٦ م ٣ ص ٢٠.

(٣) اعلام النساء: ج ١ ص ١١٨.

(٤) النفح : ج ٦ م ٣ ص ٢٠.

(٥) المصدر نفسه ، والصفحة نفسها. وانظر الدر المنثور: ص ٤١-٤٢.

(٦) المعتمد بن عباد الأشبيلي: ص ٨٣.

يجيزه أبي. (وأشارت عليهم بتوجيه كتاب من قبلها لأبيها) ^(١) وانتظار جوابه. لقد وافق الشاب ووالده على رأي بثينة ووقع عندهما كلامها موقعاً عظيماً وداخله سرور، فكتبت خطاباً ضمننت فيه قصتها كاملة وسردت ما حصل لها في أسي وحسرة (بخطها ومن نظمها) ^(٢) هذه الرسالة بعثت بها إلى أبيها في منفاه تستأذنه في الزواج ممن تحب، (وقد نظمت فيها مآثره وأياديه البيضاء) ^(٣) تألفت من أحد عشر بيتاً ربما كانت القصيدة كاملة لم يسقط منها شيء. ولا ندري قد تكون أطول ولكن لم يصل إلينا منها - كما ذكرنا - إلا هذه الأبيات التي سنذكرها في مبحث لاحق ونكتفي بذكر مطلعها، تقول ^(٤):-

إسمَع كلامي وإستمع لمقاتلي
فهي السلوك ^(٥) بدت من الأجياد

فلما بلغت مقالته ابنته ^(٦) وهو بأغمات واقع في شراك الكروب والأزمات ^(٧)، يجترأ أحزانه هو واعتماد. سرّاً بحياتها ووافقا على الزواج، ورأيا أن ذلك للنفس من أحسن أمنياتها إذ جبر كسرهما. وأشهد على نفسه بعقد نكاحها من ابن التاجر وكتب يهنئها ويتسلى بحسن عاقبة الزمان فيها. وكتب آخر رسالته ناصحاً بثينة المقبلة على الزواج قائلاً ^(٨): [السريع]

بُنيتي كوني به برة
فقد قضى الدهر بأسعافه

(١) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٠.

(٢) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٣) أثر البيئة في الشعر الأندلسي - عصر ملوك الطوائف: ص ٤٤٧ - ٤٤٨.

(٤) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٠.

(٥) السلوك: السالك، الخيط (تنتظم فيه حبات من اللؤلؤ وغيرها ليكون عقداً). الجيد: العنق (أعلى الصدر)

(٦) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢١. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ج ٣ ص ١٣٥.

(٧) اعلام النساء: ج ١ ص ١١٩.

(٨) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢١.

وعدت بثينة رائدة من رائدات القصة الشعرية في عصر الطوائف فقد
سخرت شعرها (وجعلته يقوم مقام النثر في المراسلات)^(١).

وقد بلغت هذه الشاعرة من البراعة في الشاعرية والصفاء في الأسلوب
المهذب الرقيق مبلغاً استطاعت فيه أن تتقل قصة وأقعية من أكثر القصص في
التأريخ أسي، وأخذاً بمجاميع الإحساس والخواطر بإطار شعري. فجاء شعرها مُزداناً
بفيض من الأسي والرقّة. وتبدو بثينة طويلة النفس، كثيرة النظم قياساً إلى زميلاتها
الجواري الشواعر. فقد عثرنا مصادفةً على قطعتين شعريّة، القطعة الأولى تتألف
من ستة أبيات في الشكوى من تقلبات الزمان، والثانية تألفت من ثلاثة عشر بيتاً في
الفخر بالأمجاد. إن هاتين القطعتين نهبهما الدكتور^(٢) أ. ر. نيكل في كتابه مختارات
من الشعر الأندلسي. لبثينة بنت المعتمد تحت عنوان (مواعظ تُشير إلى هلاك بني

(١) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص ٢٤٧.

(٢) مختارات من الشعر الأندلسي: ص ١٠٥ - ١٠٦.

* أ. ر. نيكل: مستشرق كبير وأستاذ عظيم. يدعى نيكل البوهيمي وهو أحد ثقاة العالم المقومين
في دراسات اللغة اليروفنسية. (لغة جنوبي فرنسا في العصور الوسطى) ولد الدكتور نيكل في
بوهيميا عام ١٨٨٥م. ودرس اللغات وآدابها والأديان وتاريخها في الجامعات المختلفة ودرّس
القرآن الكريم والشعر العربي على شيوخ الأزهر. وقد تخرج عام ١٩٢١ من جامعة شيكاغو
باميركا. وخص باللغات الرومانية: (الفرنسية والإيطالية والأسبانية والبرتغالية واليروفنسية
والرومانية - لغة أهل رومانية في البلقان). ثم علم هذه اللغات في عدد من جامعات أوروبا.
وهو يُجيدُ عدداً كبيراً من اللغات الشرقية والغربية. منها العربية واليابانية والتشكية
والانكليزية إضافة إلى الرومانية التي ورد ذكرها. لقد طاف في البلدان للبحث عن
المخطوطات. ترجم إلى اللغة الانكليزية كتاب طوق الحمامة - ونشر ديوان ابن قزمان
القرطبي ونقل جزءاً منه إلى اللغة الأسبانية. ونشر كتاب الزهرة لأبي داود الأصفهاني
بالإشتراك مع إبراهيم طوقان الشاعر الفلسطيني المتوفى سنة (١٩٤١).

عباد). ودرجها ضمن شعرها. وكان مطلع القطعة الأولى في الشكوى المزوجة بالمواعظ تقول فيها:-(^(١))

ما يَعْلَمُ المرءُ والدُنْيَا تمرُّ به بأنَّ صَرَفَ ليالي الدهر محذورُ
أما القصيدةُ الثانيةُ. فهي تبدو في غرض الفخر بأمجاد بني عباد ونعيهم
تقول^(٢) في مطلعها:- [الرمل]

رُبَّ ركبٍ قد أنَاخوا عَيْسَهُمْ في نُرَى مجدِهِمْ حينَ بَسَقُ
سَكَتَ الدهرُ زماناً عَنْهُمْ ثُمَّ أبْكَاهُمْ دَمًا حينَ نَطَقُ

إلا أنه لم يُشرُ إلى المصدر الذي أُسْتَقِي منه هذه الأشعار. وبعد البحث والاستقصاء عثرنا على بيتين أشار إليهما المقرئ في النسخ لمؤلف مجهول قال هذه الأبيات في منامه^(٣). ونحن من جانبنا لا نشك في نسبة هذه الأبيات التسعة عشر إليها. معتقدين أنها هي التي نَظَمَهَا. لِمَا لَسْنَا فيها من نَفْسٍ نسوي. كما نَمَتَ بعضُ أبياتها على أن قائلها لابدَّ إنه قد ذاق مرَّ الأسر بعد الحرِّيةِ وَحَرَمَ من المَلِكِ والجاه .. فعبرت عن كلِّ ذلك حين قالت^(٤):-

حَنِقَ الدهرُ علينا فسطا وكذا الدهرُ على حَرِّ حَنِقَ

(١) مختارات من الشعر الأندلسي: ص ١٠٥.

(٢) المصدر نفسه: ص ١٠٦.

(٣) ورد في النسخ: ج ٥ ص ٣٠٣، ٣٩٢، قال (ويحكى أن رجلاً رأى في منامه أثير الكائنة على المعتمد بن عباد كأن رجلاً صعد منبراً جامع قرطبة فاستقبل الناس وأنشد هذه الأبيات متمثلاً:-

رُبَّ ركبٍ قد أنَاخوا عَيْسَهُمْ في نُرَى مجدِهِمْ حينَ بَسَقُ
سَكَتَ الدهرُ زماناً عَنْهُمْ ثُمَّ أبْكَاهُمْ دَمًا حينَ نَطَقُ

(٤) مختارات من الشعر الأندلسي: ص ١٠٦.

وَقَدِيمًا كُفِيَ الْمَلِكُ بِنَا وَرَأَى مِنَّا شُمُوسًا فَعَشِيقُ

وربما أشارت إلى حقائق تاريخية منها أن حكم آل عباد دام سبعين عاماً. والحقيقة الثانية إنها عاشت في قصر والدها ثلاثاً وعشرين حجة ثم وقعت في الأسر. أي أنها حين أُسِّرت كان لها من العمر ثلاثة وعشرون عاماً. وإلى ذلك أشارت قائلة^(١): - [الرمل]

حِجْجاً عَشْرًا ، وَعَشْرًا بَعْدَهَا وَثَلَاثِينَ وَعِشْرِينَ نَسَقُ
أَشْرَقَتْ عِشْرُونَ مِنْ أَنْفُسِنَا وَثَلَاثَ نَيِّرَاتٍ تَأْتَلِقُ

أضف إلى ذلك أن القطعتين الشعريتين يلوح فيهما نمط قصصي شعري كنمط قصيدتها الأولى التي بعثتها إلى ذويها. ربما كان هذا دليلاً آخر على صحة نسبتها إلى ابنة المعتمد بن عباد كما أشار نيكل^(٢).

إن هذه الشاعرة التي اتسم شعرها بالواقعية كانت طويلة النفس مبتعدة عن التزويق في التعبير وسنذكر قصائدها في فصل شعر النساء.

(١) مختارات من الشعر الأندلسي: ص ١٠٦

(٢) أشار الدكتور عمر فروخ في مقدمة كتاب الشعر الأندلسي - قائلاً (ومن كتبه القيمة كتاب الشعر الأندلسي ، وهو الكتاب الذي كانت هذه المختارات نصوصاً ونماذج وشواهد له. المصدر نفسه: ص ٥ وانظر ص ٣:

Hispano - Arabic poetry and its Relations with the old provencal Troubadours, by Dr. A. R. Nyk, Baltimore, ١٩٤٦.

وكما لاحظنا فإن أسماء الجوارِي كانت متميزة خاصة بهنّ . ذات جرسٍ موسيقي عذب، ورنينٍ رقيقٍ أنيق، يتّخذونه لها لكي يرتفع ثمنها، حين تُعرض للبيع . بعد تدريبها على المهنة أو الفن.. وهذه الجارية واحدةٌ منهن ، حملت هذا الاسم اللطيف فذاع صيتها. وكانت عند المنصور^(٢) بن أبي عامر المتوفى سنة (٣٩٢هـ). وفي أحد مجالس الشرابِ بعد أن دارت الكؤوسُ غنت أنسُ القلوب^(٣) :-

[الخفيف]

قَدِمَ اللَّيْلُ عِنْدَ سَيْرِ النَّهَارِ وَيَدَا الْبَدْرُ مِثْلَ نَصْفِ سَوَارِ
فَكَانَ النَّهَارُ صَفْحَةً خَدًّا وَكَأَنَّ الظَّلَامَ خَطُّ عَذَارِ

(١) نفع الطيب: ج٢ ص ١٤٦-١٤٧. ط. محمد محي الدين عبد الحميد. اعلام النساء: ج١ ص ٩٧ - ٩٨ - ٩٩، وانظر :-

عبد البديع صقر : شاعرات العرب: ص ٢٠ . بشير يموت شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام : ص ٢١١. نيكل : مختارات من الشعر الأندلسي: ص ٣٨ - ٣٩ . المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص ٢٥٧. عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي في الأندلس: ج٤ ص ٤٨٩.

(٢) هو محمد بن عبد الله بن أبي عامر. كان ابن أبي عامر ذا عقل ورأي وشجاعة وبصر بالحروب. بنى لنفسه مدينة سماها (الزاهرة) وامرا أن يُحيا بتحية الملوك. وتسمى بالحاجب المنصور. وكان أديباً شاعراً. محبا للعلوم مؤثرا للأدب. مكرما للشعراء والأدباء. وكان للمنصور مجلس يجتمع فيه كل اسبوع مع أهل العلم والمناظرة. توفي سنة (٣٩٢هـ).

أنظر نفع الطيب: ج١ م ١ ص ٣٧٢-٣٧٣ - ٣٧٦، وانظر المصدر نفسه : ج٢ م ١ ص ٧١.

(٣) مختارات من الشعر الأندلسي: ص ٣٨-٣٩. شاعرات العرب: ص ٢٠ شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢١١.

سنذكر القطعة كاملة لاحقاً. وعندما أنشدت أغنيتها هذه أعجب بها أبو المغيرة^(١) عبد الوهاب بن حزم المتوفي سنة (٤٢٠هـ) وكان حاضراً فارتجل على الفور أبياتاً بعد أن عرف أنه المعني بالأبيات: - [الخفيف]

كَيْفَ كَيْفَ؟ الْوَصُولُ لِلْأَقْمَارِ بَيْنَ سِحْرِ الْقَنَا وَبَيْنَ الشِّفَارِ
لَوْ عَلِمْنَا بِأَنَّ حُبَّكَ حَقٌّ لَطَلَبْنَا الْحَيَاةَ مِنْكَ بِشَارِ
وَإِذَا مَا الْكِرَامُ هَمُّوا بِشَيْءٍ خَاطَرُوا بِالنَّفُوسِ فِي الْأَخْطَارِ

فلما سمعه المنصورُ غَضِبَ وأرادَ أَنْ يَقْتَلَ الْجَارِيَةَ. لكنها بَكَت. فأمرها بالإعترافِ وقال: قولي وإصدقي إلى مَنْ تُسِيرِينَ بهذا الشوقِ والحنينِ؟؟

فقالت الجارية: "إِنْ كَانَ الْكُذْبُ أَنْجِي فَالْصِدْقُ أَحْرَى وَأَوْلَى، وَاللَّهُ مَا كَانَتْ إِلَّا نَظْرَةً وُلِدَتْ فِي الْقَلْبِ فِكْرَةً، فَتَكَلَّمَ الْحُبُّ عَلَى لِسَانِي وَبَرِحَ الشُّوقُ بِكْتَمَانِي، وَالْعَفْوُ مَضْمُونٌ لَدَيْكَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ، وَالصَّفْحُ مَعْلُومٌ مِنْكَ عِنْدَ الْمَعْذَرَةِ. ثُمَّ بَكَتُ فَكَأَنَّ دَمْعَهَا دُرُرٌ تَتَأَثَّرُ مِنْ عِقْدٍ أَوْ طُلٌّ تَسَاقُطُ مِنْ وَرْدٍ"^(٢)

قال أبو المغيرة على لسانها أبياناً: [المجتث]

(١) جذوة المقتبس: ص ٢٧٢، ترجمة (٦٥٨). الذخيرة: م ١ ق ١ ص ١٣٢ - ١٤١. النفع: ج ٣ م ٢ ص ١٥٦.

أبو المغيرة: عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن محمد بن حزم وهو ابن عم الفقيه ابن حزم الظاهري (ت ٤٥٦هـ). وكان من المقدمين في الشعر والأدب والبلاغة: وكان شاعراً وجدانياً فحلاً مكثراً غير أن شهرة ابن عمه قد غطت عليه فحمل ذكره. انظر: جذوة المقتبس: ص ٢٧٢ ترجمة (٦٥٨)، وانظر بغية الملتبس: ص ٣٨٠ ترجمة (١١١٠). ذكر عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي: ج ٤ ص ٤٨٨. إن وفاته وقعت سنة (٤٣٨هـ). ولد بقرطبة. وهرب إلى بلاد الثغر (شمال الأندلس) وتوفي بطليطلة). ترجم له ابن بسام في الذخيرة ترجمة وافية. انظر: م ١ ق ١ ص ١٣٢ - ١٦٦ في المصدر نفسه.

(٢) أعلام النساء: ج ١ ص ٩٧ - ٩٨ - ٩٩.

أَذْنَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَكَيْفَ مِنْهُ إِعْتَذَارِي^(١)
 وَاللَّهُ قَدَّرَ هَذَا وَلَمْ يَكُنْ بِاخْتِيَارِي
 وَالْعَقُوبُ أَحْسَنُ شَيْءٍ يَكُونُ عِنْدَ اقْتِدَارِ

قيل: لَمَّا سَمِعَ الْمَنْصُورُ الشَّعْرَ، صَرَفَ وَجْهَ الْغَضَبِ، إِلَى الْوَزِيرِ الْكَاتِبِ أَبِي الْمَغِيرَةَ، فَقَالَ الْوَزِيرُ لِلْمَنْصُورِ: أَيَّدَكَ اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّمَا كَانَتْ هَفْوَةٌ، جَرَّهَا الْفَكْرُ. وَصَبُوءَةٌ أَيْدَاهَا النَّظْرُ. لَيْسَ لِلْمَرْءِ إِلَّا مَا قَدَّرَ لَهُ مَا اخْتَارَ وَأَمَلَهُ. فَأَطْرَقَ الْمَنْصُورُ قَلِيلًا ثُمَّ عَفَا وَصَدَّحَ عَنِ الْوَزِيرِ، وَوَهَبَ أَنْسَ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ.

إِنَّ أَنْسَ الْقُلُوبِ أَبَدَتْ ذِكَاءَ مَفْرَطًا، فَهِيَ عَلَى مَا يَبْدُو مَوْهُوبَةٌ فَطْنَةٌ، سَرِيعَةُ الْخَاطِرِ. سَخَّرَتْ شَاعِرِيهَا بِذِكَائِهَا فَاسْتَطَاعَتْ أَنْ تَصِلَ إِلَيَّ مِنْ تَبْتَعِي وَتَحَقِّقَ آمَالِهَا .. دُونَ عَنَاءٍ.

لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْ شَعْرِهَا إِلَّا تِسْعَةُ آيَاتٍ، ثَلَاثَةٌ مِنْهَا نُسِبَتْ^(٢) إِلَى أَبِي الْمَغِيرَةَ وَقَدْ وَضَعَهَا عَلَى لِسَانِهَا.

لَقَدْ إِعْتَدَتْ الْجَارِيَةَ بِنَفْسِهَا بَحِيثٌ أَصْبَحَتْ تَسْتَغْلُ الشَّعْرَ لِلإِفْصَاحِ عَنِ عَاطِفَتِهَا وَغَرَامِهَا، وَتَتَخَذُهُ وَسِيلَةً لِلْغِنَاءِ وَتُصَوِّرُ جَمَالَهَا وَمَا أُوتِيَتْ مِنْ سِحْرِ وَفَتْنَةٍ، لَتَلْتَمِصَنَّ قُلُوبَ الرِّجَالِ وَتَدْعُوهُمْ لِلإِعْرَابِ عَنِ اقْتِنَانِهِمْ بِمَوَاهِبِهَا.

(٥) غَايَةُ الْمَنَى^(٣) :-

وِغَايَةُ الْمَنَى جَارِيَةٌ أُنْدَلُسِيَّةٌ مُتَأَدِّبَةٌ^(٤). لَبِيبَةٌ، تَقُولُ الشَّعْرَ وَتُحَسِّنُ الْمَحَاضِرَةَ^(٥). (مُتَخَرِّجَةٌ فِي فُنُونِ الْغِنَاءِ، لَهَا صَوْتٌ حَسَنٌ وَصَنْعَةٌ جَيِّدَةٌ بِالْأَصْوَاتِ،

(١) مَخْتَارَاتٌ مِنَ الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ: ص ٣٩، شَاعِرَاتُ الْعَرَبِ: ص ٢٠. شَاعِرَاتُ الْعَبِّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ: ص ٢١١.

تَارِيخُ الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي الْأَنْدَلُسِ: ج ٤ ص ٤٩٠.

(٢) مَخْتَارَاتٌ مِنَ الشَّعْرِ الْأَنْدَلُسِيِّ: ص ٣٩.

(٣) النَّفْحُ: ج ٦ م ٢٢ - ٢٣. الدَّرُ الْمَنْثُورُ: ص ٣٥٥. اِعْلَامُ النِّسَاءِ: ج ٤ ص ٥. الشَّعْرُ النَّسَوِيُّ: ص ٩٥ - ٩٦. الْأَدَبُ الْأَنْدَلُسِيُّ مَوْضُوعَاتِهِ وَفُنُونِهِ: ص ١٤٦ - ١٤٧.

(٤) النَّفْحُ: ج ٦ م ٣ ص ٢٢.

(٥) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: ج ٦ م ٣ ص ٢٣. اِعْلَامُ النِّسَاءِ: ج ٤ ص ٥.

وكان أكثرَ غنائها من أصوات عريب) (١). لذا رجَّح أحد الباحثين (٢) على أنها من مولدات الشرق، لغنائها من أصواتهم. لكننا نراه مغالياً في نسبتها للشرق بسبب تأثرها بمطربيهم كـ(عريب) عمّاً أن عربياً كانت من مطربات القرن الثالث الهجري. وغاية المنى عاشت ضمن فترة القرن الخامس الهجري، لأنها عاصرت المعتصم بالله أبا يحيى محمد بن معن صمادح المتوفي سنة (٤٨٤هـ) (٣). إن هذه الشاعرة أندلسية لكنها - قد تأثرت بأصوات زرياب بعد أن ترك أكثر من مئة لحن. واضافَ إلى العودِ الوترِ الخامس .. وقلده الأندلسيون وتأثروا به.

ولا نغفل الحقيقة، بأننا لا نستطيع الوصول إلى صحة تأثرها. سواء أكان التأثير بعريب أم بزرياب، لأنه لم تصل إلينا ولا أغنية من أغانيها. قيل: (٤) إن المعتصم بن صمادح الذي كان يعمر أندية اللهو والغناء قدمت إليه، فأراد إختبارها. فقال لها ما اسمك؟ فقالت: غاية المنى. فقال لها: أجزبي . إسألوا غاية المنى؟

فأجابت بسرعة بديهة، ورقة خاطر، وحضور نادر: [مجزوء البسيط]

مَنْ كَسَا جِسْمِي الضَّنَا

وَأرَانِي مَوْلَهَا سَيَقُولُ الهوى أَنَا

(١) الدر المنثور : ص ٣٥٥. المرأة في حضارة العرب: ص ٢٥٨.

(٢) المرأة في حضارة العرب : ص ٢٥٨.

* عريب المأمونية: شاعرة مجيدة ، ومغنية محسنة . ذات فصاحة ، وبلاغة وحسن وجمال. قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي. سرقت وهي صغيرة وبيعت فاشتراها الأمين محمد بن الرشيد ثم اشتراها اخوه المأمون عبد الله. توفيت سنة (٢٧٧هـ) . انظر ابن الساعي : نساء الخلفاء : ص ٥٥-٦٣. وانظر المرأة في الأدب العباسي: ص ٤١٥.

(٣) المعجب : ص ٧٤.

(٤) قلائد العقيان: ص ٥٣ ط. باريس قدم له محمد العنابي. والنفح : ج ٦ م ٣ ص ٢٢.

فَأعجِبَ بما يَدَا مِنْهَامَن ذكَاةٍ نَادِرٍ . واجتيازها الإمتحان برقةٍ وسحرٍ
فاشترأها.

وقد رويت هذه الحكاية بصيغةٍ أخرى تخالف الرواية السابقة نقلها المقرئ^(١)
عن صاحب التكملة . قال ما معناه:

عندما سِيقت غايةُ المنى إلى المعتصم بنِ صمادح وكانت، لبيبةُ تقولُ الشعرَ
وتُحسنُ المحاضرةَ. أمرَ باختبارِ ذكائها، وطلبَ أن تُحملَ إلى الأستاذِ ابنِ الفراءِ
الخطيبِ وكان كفيلاً.

فلما وصلت إليه قال: ما اسمك؟ فقالت: غايةُ المنى، فقال أجزبي:-

سَلْ هَوَى غَايَةِ الْمَنَى مَنْ كَسَا جِسْمِي الضَّنَا
فقالت تجيزه:

وأراني مَيِّمًا سَيَقُولُ الْهَوَى أَنَا

فحكى ذلك لابن صمادح، فاشترأها بمائة ألف درهم، وكانت محظية عنده إلى
أن ماتت^(٢). ولم تذكر سنة وفاتها.

إن هذه الجارية الشاعرة المغنية . السريعة الخاطر لم يقع بين أيدينا من آثار
شعرها سوى هذا البيت اليتيم. الذل دلّ على رقة الشعور ورهافة الإحساس وخفة
الروح وقوة الظرف. ولا بدّ أن يكون لها شعر آخر، ولا ندري ماذا حلّ؟ وأين ذهب
نتائجها؟!

(١) النفع: جـ ٦ م ٣ ص ٢٣. اعلام النساء: جـ ٥ ص ٥٠. الشعر النسوي في الأدلس: ص ٩٥ -

٩٦. ابن الفراء: الأخص بن ميمون أصله من القبذاق، وتأدب في قرطبة وله أمداح في ابن

التغريلي. أنظر المغرب: جـ ٢ ص ١٨٢ - ١٨٤. وانظر هامش الخيرة: م ٢ ق ١ ص ٧٦٠.

(٢) الدر المنثور: ص ٣٥٥.

(٤) عُتْبَةُ^(١) :-

وهي جارية الأميرة الشاعرة ولادة بنت المستكفي التي توفيت عام (٤٨٤هـ). وستنكلم عنها مفصلاً في مبحث لاحق.

أغفلت المصادر هذه الجارية ولم تذكر أخبارها، وسكتت عن أشعارها أيضاً.
قيل : كانت جارية سوداء ، بديعة الغناء^(٢).

وفي أحد مجالس اللهو والأنس، وبعد أن سعد ابن زيدون بلقائه مع صاحبه ولادة. غنت (عتبة) وترتمت منشد^(٣):- [الطويل]

أحبتنا ، إنّي بلغتْ مؤملي وساعدني دهرى وواصلني حبي
وجاء يهنئني البشير بقربه فأعطيتُه نفسي وزدتْ له قلبي

فطلب ابن زيدون من عتبة الإعادة^(٤)، بغير علم ولادة. فضجرت الأخيرة وظهر عليها التجهم وغارت غير^(٥) شديدة ، بعد أن ظهر لولادة منه ميل إلى الجارية. وكان هذا سبباً مباشراً في نفور ولادة من حبها لابن زيدون.

(١) ديوان ابن زيدون: ص ١٢٠ تحقيق علي عبد العظيم. والخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣١. خليل بن أبيك الصفدي: تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: ص ١١. فوات الوفيات: ج ٥ ص ٢٥١. أنيس الجلساء: ص ١٠٢. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ٢٢٦.

(٢) الخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣١. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: ص ١١.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ١٢٠.

(٤) أبو القاسم محمد كرو: شوقي وابن زيدون في نونيتيها: ص ١٦ مطبعة الترقى - القاهرة - ١٩٥٦.

(٥) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢٠٦.

لقد رجَّحَ محققُ ديوانِ ابنِ زيدون أن البيتين اللذين غنَّتهما عتبة صاغهما
لتشديبهما عتبةً وصيفةً ولآدةً في خَلَّساتِ اللقاء. وعَلَّقَ مُحَقِّقُ الذخيرةِ الدكتورُ إحسان
عباس بقوله (أثبتهما ناشر ديوانه: علي أنهما من شعره وليس ثمة ما يؤكد ذلك) (١).
ولا نَعْلَمُ أيُّهم نَظَمَ الأبياتِ ولكننا نعتقد أنها من نَظْمِ عتبة. وإلا لم لم تخبر عتبة
مولاتها بأن الأبيات من نظم ابن زيدون بعد أن أنهالت عليها ضرباً. وربما كان حلاً
للأشكال الذي وقع بينهما.

(١) ديوان ابن زيدون ورسائله: ص ١٢٠. تحقيق علي بعد العظيم.

انظر هامش الذخيرة: م ١ ق ١ ص ١٣١.

obeikandi.com

المبحث الثاني الشواعر الحرائر

توطئه:

- ١- الغسانية البجانية.
- ٢- مريم بنت أبي يعقوب.
- ٣- أمّ العلاء بنت يوسف الحجازية.
- ٤- أمّ الكرم بنت المعتصم بن صمّاح.
- ٥- صفية بنت عبد الله الربيعي.
- ٦- مهجة بنت التيان.
- ٧- قسمنة بنت إسماعيل.
- ٨- تزهن بنت القلاعي.
- ٩- ولادة بنت المستكفي.

توطئة:-

طالعتنا جملة من الشواعر الحرائر اللائي عشن فترة سبقت عصر الطوائف منهن الأديبة مزنة^(١) . التي توفيت سنة (٣٥٨هـ). وصل إلينا اسمها ولم يصل شيء من شعرها. ولذكاؤها وفطنتها وحسن خطها شغلت منصب سكرتيرة عند الأمير الناصر لدين الله. ومن الشواعر الحاذقات لبني^(٢) كاتبة الحكم بن عبد الرحمن التي شاركت في ضروب العلوم كالنحو والحساب والعروض واتقنت فن الخط والكتابة ، وتوفيت سنة (٣٧٤هـ). أما الأديبة الفاضلة أسماء^(٣) بنت غالب التي كان والدها فارس الأندلس وحاجبها فقد تزاخم الرجال للزواج منها تقرباً من والدها كأبي الحسن جعفر بن عثمان^(٤) المصحفي المتوفى (٣٧٢هـ) والمنصور بن أبي عامر المتوفى (٣٩٢هـ) الذي ارتبط بها . ولكننا لم نسعد بنتائجها.

بدأت الشاعرة الحرة أسعد حظاً وارفح مكانةً وافر انتاجاً، من الشاعرة الجارية عند الرواة والمؤرخين القدماء. ربما نظروا إليها نظرة اختلفت عن نظرتهم للشاعرة الجارية، ولقد بلغت حرائر القرن الرابع الهجري مكانة رفيعة فقد قيل عن

(١) بغية الملتبس : ص ٥٣٠ ترجمة (١٥٩٠). السيوطي : بغية الوعاء: ص ٣٨٣ ط - ١ - السعادة. تحقيق أحمد بن الأمين الشنقيطي - ١٣٢٦هـ.

(٢) المصدر نفسه: والصفحة نفسها والترجمة (١٥٨٩).

(٣) الذيل والتكملة القسم المخطوط بالرباط تحت رقم (١٧٠٥) نقلا عن الشعر النسوي: ص ١٥٦. نفع الطيب : ج ١ ص ٤٠٠ وج ٤ ص ٨٩.

(٤) محمد محمود يونس : ما تبقى ن شعر الحاجب المصحفي: ص ١٧٥ - ١٧٦. المصحفي: أبو الحسن جعفر بن عثمان علم من اعلام القرن الرابع الهجري في الأندلس له دور بارز في الأحداث السياسية. نكب في أخريات حياته على يد المنصور بن أبي عامر فاعتقله وصادر أمواله ليس له ديوان . جمع ما تبقى من شعره محمد محمود يونس في بحث نشره في مجلة آداب المستنصرية - العدد الثاني عشر - ١٩٥٨م. ص ١٧٥ - ٢٠٣.

عائشة بنت أحمد بن محمد قادم القرطبية^(١) التي توفيت عام (٤٠٠هـ) . إنها لم يكن في زمانها من حرائر الأندلس من يعدُّ لها فهماً وأدباً وشعراً. واثبتت جداره في حُسن الخطِّ . فكتبت المصاحف^(٢) ونقلت المخطوطات .. وقيل إنها كانت تملك مكتبة^(٣) خاصة مؤلفة من أنفس الآثار التاريخية والفنية التي نقلتها هي ببراعتها.

لقد عزفت هذه الشاعرة عن الزواج وربما شكَّك هذا ظاهرةً عند حرائر القرن الخامس الهجري واتخذنها قدوةً لهنَّ^(٤).

وهناك شاعرة معاصرة لعائشة وهي رائدة من رائدات الغزل في الأندلس. وفاضلة من الفاضلات تُدعى حفصة بنت حمدون الحجارية^(٥). من أهل وادي الحجارة . لقد اعتزَّيها بلدها لما وصلت إليه من المكانة الأدبية. فاسترقتُ القلوبَ بالفاظها الزاهرة وسكرتُ العقولُ بمعانيها الساحرة، نظمتُ فانتت بكل عجيب وجَلتُ غياهب المُشكلات بفكرها الصائب الأريب.

لقد فتحتُ هذه الشاعرة للمرأة الأندلسية باباً لم تكن قد جرأت على طرقة بعد . وجنَّدت شعراً لحياتها العاطفية.. وكان لهن شعراء أكتوا بنارِ حبهن، وجاء أكثرُ شعرهن في الغزل والهجاء. فهل هذه الظواهر استمرت في شعر المرأة خلال القرن الخامس؟ هذا ما سنراه عند اطلاعنا على تراجمهن.

(١) الصلوة: ج٢ ص ١٩٢ ط. الدار المصرية . وانظر المصدر نفسه: ج٢ ص ٦٥٤ طبعة بيروت - ١٩٥٥ . نزهة الجلساء : ص ٧١ - ٧٣ . النفح : ج٦ م ٣ ص ٢٦ . اعلام النساء : ج٣ ص ٦ . الاعلام : ج٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ . مختارات من الشعر الأندلسي: ص ٤٣ . سلمى الحفار: في ظلال الأندلس: ص ١١٣ .

(٢) نزهة الجلساء : ص ٧١ . النفح : ج٦ م ٣ ص ٢٦ . الدر المنثور : ص ٢٩٢ .

(٣) الصلوة : ج٢ ص ١٩٢ . ط. الدار المصرية.

(٤) انظر نزهة الجلساء : ص ٧١ . النفح : ج٦ م ٣ ص ٢٦ .

(٥) النفح: ج٦ م ٣ ص ٢١ - ٢٢ . الدر المنثور : ص ١٦٥ .

(١) الغسانية^(١) النجانية :-

هذه الشاعرة "إسمها الغسانية" وتوهم أبو القاسم خلف بن عبد الله ابن بشكوال المتوفى سنة (٥٧٨هـ) حين قال: ذكرها الحميدي المتوفى سنة (٤٨٨هـ) ولم يذكر إسمها^(٢). وتبعته الأديبة زينب فواز المتوفاة سنة (١٩١٤م) حين قالت: (لم أقف على إسمها الحقيقي)^(٣).. والحقيقة أن إسمها واضح "الغسانية" ولقبها البجائية، نسبة إلى بجانة^(٤) هي كورة عظيمة في الأندلس وتشتهر بإقليم المرية. لم تذكر سنة ولادتها ولا سنة وفاتها. وقد جاء في المغرب نقلا عن حافظ الأندلس عبد الله بن إبراهيم الصنهاجي الحجاري^(٥). أبي محمد المتوفى سنة (٥٨٤هـ) في المسهب (إنها كانت في مدة ملوك الطوائف)^(٦). وأشار محقق المغرب الدكتور شوقي ضيف إلى

(١) انظر جذوة المقتبس: ص ٣٣٨ ترجمة (٩٨٥) وبغية الملتبس : ص ٥٢٩.

الصلة : ج ٢ ص ٦٩٦. المغرب: ج ٢ ص ١٩٢. النفع: ج ٥ ص ٣٠٢- ٣٠٣. الدر المنثور : ص ٣٥٦. اعلام النساء: ج ٤ ص ١٠. الشعر النسوي في الأندلس: ص ٩٢- ٩٣. الادب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص ١٤٤- ١٤٥.

* الغسانية من غسن والغسنة: الخصلة من الشعر. ويدل على الحسن أيضاً وغسان : اسم ماء نزل عليه قوم بن الأزد فمسيبوا إليه. أو اسم قبيلة. فيقال للمذكر غسان والمؤنث غسانة وعلى ما نعتقد يمكن ان يكون الغسانية اسماً لها ويمكن ان يكون اسماً لقبيلة. انظر اللسان مادة (غسن): ج ١٣ ص ٣١٢- ٣١٣. ط. دار صادر.

(٢) الصلة : ج ٢ ص ٦٩٦.

(٣) انظر الدر المنثور : ص ٣٥٦.

(٤) اعلام النساء: ج ٤ ص ١٠.

(٥) النفع : ج ٥ ص ٢٥٩- ٢٦٠. توصل د. حسين مؤنس من تسلسل الأحداث التاريخية إلى

تقدير ولادته بحوالي سنة (٤٦٧هـ) ووفاته سنة (٥٥٠هـ). د. أحمد سوسنة الشريف

الأدريسي في الجغرافية العربية : ج ٢ ص ٣٤٨.

(٦) المغرب : ج ٢ ص ١٩٢.

أن المقرَّبِي^(١) ذهب سهوا حين جعلها من أهل المائة الرابعة . وتبعه بعض المحدثين^(٢) في سهوه. إلا أن صاحب كتاب الشعر النسوي في الأندلس^(٣) عدها (من الشاعرات المخضرمات)^(٤) ودليله كان القصيدة التي مدحت^(٥) بها خيران العامري^(٦) المتوفي سنة (٤١٩هـ) . فالشاعرة سلخت أعواماً من عمرها في القرن الرابع وعاصرت فترة ملوك الطوائف في القرن الخامس. إنَّ هذه الشارعة الأدبية المذاحة التي مدحت الملوك. كانت مشهورة^(٧). (بظرفها وأدبها وجمال لطفها وبهائها وكمالها)^(٨) وكانت عالمة بضروب الشعر وروايتها^(٩) وهي من الشاعرات (الموصوفات)^(١٠) بالأندلس. وقد عارضت^(١١) الشعراء . ونونيتها (الطويلة) الرائعة التي لم تصل إلينا منها إلا أبيات قليلة. عارضت بها الشاعر الأندلسي أبا عمر^(١٢) أحمد بن دراج القسطلي المتوفي سنة (٤٢١ هـ) في الغرض نفسه. فقد مدح خيران

(١) النفع : جـ ٥ ص ٣ م ٣٠٣.

(٢) الدر المنثور : ص ٣٥٦. شاعرات العرب : ص ٢٨٩.

(٣) محمد منتصر الريسوني: الشعر النسوي في الأندلس: ٩٢.

(٤) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

(٥) جذوة المقتبس : ص ٣٨٩ ترجمة (٩٨٧). بغية الملتبس: ص ٥٢٩.

(٦) خيران العامري: من موالي العامريين حكم المرية ومرسية من (٤٠٥ - ٤١٩هـ). وكان من

جملة فتیان المنصور بن أبي عامر. توفي سنة (٤١٩هـ).

(٧) بغية الملتبس : ص ٥٢٩. الصلة: جـ ٢ ص ٦٩٦.

(٨) الدر المنثور : ص ٣٥٦.

(٩) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

(١٠) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

(١١) جذوة المقتبس : ص ٣٨٩ ترجمة ٩٨٧. بغية الملتبس: ص ٥٢٩. الصلة : جـ ٢ ص ٦٩٦

عارضت ابن دراج القسطلي).

(١٢) انظر المصادر السابقة : والصفحات نفسها.

العامري المتوفى (٤١٩هـ). وقد نص ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ) على أنه نظمها في سنة (٤٠٧هـ) ^(١) يقول فيها ^(٢): - [الطويل]

لَكَ الْخَيْرُ ، قَدْ أَوْفَى بِعَهْدِكَ خَيْرَانُ وَيُشْرَاكَ قَدْ، أَوَاكَ عِزُّ وَسُلْطَانُ
هُوَ النِّجْمُ لَا يُرَاعِي إِلَى الصُّبْحِ شَاهِدٌ هُوَ الْفَوْزُ لَا يُبْغِي عَلَى الشَّمْسِ بُرْهَانَ
عَارَضَتْ الْغَسَانِيَةَ الْقَصِيدَةَ الْقَسْطَلِيَةَ بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ لَمْ يَصِلْ إِلَيْنَا مِنْهَا إِلَّا
أَبْيَاتٌ هِيَ عِبَارَةٌ عَنْ مَقْدَمَةٍ لِلْمَدْحِ فِي الْأَمِيرِ خَيْرَانَ الْعَامِرِيِّ الْمَتَوَفَى (٤١٩هـ).
نَكْتَفِي بِذِكْرِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ مِنْهَا تَقُول ^(٣): - [الطويل]

أَتَجَزَعُ إِنْ قَالُوا سَتَرَحَلُ أَطْعَانُ وَكَيْفَ تُطِيقُ الصَّبْرَ وَيَحْكُ إِذْ بَانُوا

سنذكر بقية الأبيات في الغزل من شعر النساء في فصل لاحق.

ويقال إن لها قصائد وأشعاراً غير هذه ^(٤). ويعمل أحد الباحثين ^(٥) وجودها بين طيات مصدر مطبوع أو مخطوط لم يتمكن من الحصول عليه. وبهذه المناسبة لا بد أن ندين الرواة والمؤرخين في إصرارهم على إهمال الجيد والمنتقى من أشعارهن وتسليط الضوء على المبتذل منه فقط لإخماد النهضة الأبية والشعرية

(١) أعمال الأعلام: ص ٢١٢.

(٢) ديوان ابن دراج القسطلي: ص ٨٦. تحقيق محمود علي مكي.

(٣) بغية الملتبس: ص ٥٢٩. الصلاة: ج ٢ ص ٦٩٦. المغرب: ج ٢ ص ١٩٢ وهذا البيت لم يرد في النسخ ، والذي نقل عنه لم يذكره أيضاً كالدر المنثور: ص ٣٥٦. وأعلام النساء: ج ١ ص ١٠.

(٤) الدر المنثور: ص ٣٥٦.

(٥) الشعر النسوي: ص ٦٣.

عندهن وأقصدُ الحرائرِ منهن . فهذه الشاعرة الموصوفة لم يصل إلينا من شعرها إلا ستة أبيات نصت عن قوة وتمكن وأصله في الشعر.

(٢) مريم^(١) ابنت أبي يعقوب :-

مريم بنت أبي يعقوب الأنصاري^(٢) الفصولي الشلبي^(٣). وتسمى مريم الشلبيّة. أصلها من شلب^(٤) (Silves) على ما قيل . وسكنت أشبيلية^(٥) وأقامت فيها واكتسبت شهرتها منها. لقد أجمعت المصادر على أنها كانت (تعلم النساء الأدب)^(٦)

(١) وردت أخبارها في جذوة المقتبس: ص ٣٨٨-٣٨٩. وبغية الملتبس: ص ٥٢٨-٥٢٩. الصلة : ج ٢ ص ٦٩٤-٦٩٥. المطرب في أشعار أهل المغرب: ص (س-ع). ط . القاهرة ١٩٥٤ . السيوطي : نزهة الجلساء في أشعار النساء : ص ٩٠-٩٢ . النفع : ج ٦ م ٣ ص ٢٧. الإعلام: ج ٧ ص ٢١ط. الخامسة - ١٩٨٠. الدر المنثور : ص ٥١٠. إعلام النساء: ج ٥ ص ٤٧. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ج ٣/ ص ١٣٣. بشير يموت شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢٢٢. شاعرات العرب: ص ٣٩١. المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص ٣٣٩. إبراهيم أبو الخشب : تاريخ الأدب العربي والأدب في المغرب والأندلس: ج ٤ ص ٣٥٠-٣٥١. الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص ١٦٧-١٦٨.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص (س.ع). والنفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٧.

(٣) جذوة المقتبس : ص ٣٨٨. وبغية الملتبس : ص ٥٢٨. الصلة : ج ٢ ص ٦٩٤. نزهة الجلساء : ص ٩٠.

* سميت في جذوة المقتبس، وفي بغية الملتبس : الفصولي (بضم الفاء والصاد) وفي الصلة ونزهة الجلساء : الفيصولي. (بضم الفاء وفتح الصاد).

(٤) شلب: تقع غرب الأندلس. ومن بلادها . وهي قاعدة كورة اكشونية وهي بقبلي مدينة باجة. ولها بسائط فسيحة وبطائح عريضة وأهلها وسكان قراها عرب من اليمن . انظر الروض المعطار: ص ٢٤٢.

(٥) النفع : ج ٦ م ٣ ص ٢٧.

(٦) بغية الملتبس: ص ٥٢٨. الصلة: ج ٢ ص ٦٩٤. النفع : ج ٦ م ٣ ص ٢٧.

وكانت تغدو على بنات سادات إشبيلية تعلمهن الشعر^(١) فهي بحق أستاذة من أستاذة الشعر في ذلك العصر^(٢).

كما اكتسبت بينهن صفةً محمودةً لنبيل خلقها وحسن سيرتها. فقد كانت (صدر نبائها وأدبائها ومن لهن قدرٌ منجيبها)^(٣) ولا ندري ربما تخرج من مدرستها طائفة من النساء الشهيرات. لقد إحترمها وأجلها عظماء بلدنا لأنها كما قيل (إحتسمت لدينها وفضلها)^(٤) ولربما لسمو أدبها واجادة شرفها وعفتها. فهي أديبة شاعرة جزلة، وقيل عنها: (سردت البديع أحسن سرد واقرست المعاني كالأسد الورذ. ومدحت ملوكها. فقد طوقتهم من مدائحها قلاند. وقت إليهم من معانيها خرائد. وجلتها عليهم كواعب بالألباب لواعب فأسالت العوارف، وما تقلص لها من الخطوة ظل وارف)^(٥). وكانت تمدح الملوك وتساجلهم فيجيزوها من أموالهم. وهداياهم ومن حلبيهم وحلهم. وبعث إليها (المهند)^(٦)، وقيل: (ابن المهند)^(٧) وقيل: (لمهدي)^(٨). بقرطاس فيه ننانير وعدد من الأبيات الشعرية، رداً على جوابها. جاء فيه ما يؤكد ظرفها وتقائها ووصولها إلى درجة من الروع بحيث شبهت بمريم العذراء: [البسيط]

- (١) المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص ٢٤٠.
 - (٢) المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ج ٣ ص ١٣٣.
 - (٣) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور: ص ٥١٠.
 - (٤) جذوة المقتبس: ص ٣٨٨. وبغية الملتبس: ص ٥٢٨. الصلة: ج ٢ ص ٦٩٤. نزهة الجلساء من أشعار النساء: ص ٩٠ والنفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٧.
 - (٥) الدر المنثور: ص ٥١٠.
 - (٦) نزهة الجلساء: ص ٩٠-٩١.
 - (٧) بغية الملتبس: ص ٥٢٨. والصلة: ج ٢ ص ٢٩٤.
 - (٨) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٧.
- * الحلة السبراء: ج ١ ص ١٩ (المهدي: عبيد الله بن محمد المهدي الأموي). لعله هو أو لعله ابن المهند الشاعر المشهور.
ابن المهند: شاعر مشهور كان بعد الأربعمائة. ووالده المهند هو ظاهر بن محمد. جذوة المقتبس: ص ٣٨٢ ترجمة ٩٧٢.
المهند: ظاهر بن محمد المعروف بالمهند البغدادي. كان أديباً شاعراً متقدماً. من شعراء الدولة العامرية وفد على المنصور بن أبي عامر محمد وحظى بالأدب عنده. انظر جذوة المقتبس: ص ٢٢٩ (٥١٥).

ما لي بشكرِ الذي أوليتِ من قبَلِ لو أنني حَزْتُ نطقَ الإنسِ والخَبَلِ
يا فِدَّةَ الظُرفِ في هذا الزمانِ ويا وحيدةَ العَصْرِ في الإِخْلاصِ والعملِ
أشبهتِ مريمًا العذراءَ في ورَعِ وفُقتِ خنساءَ في الأشعارِ والمثَلِ

إنَّ الأبياتَ (١) التي جاءت في مَدحِها بَيَّنَّتْ مَكَانَتَها الأديبَةَ بحيثِ فاقت
الشاعرة الخنساء في أشعارها، إنَّ هذه التي فاقت الخنساء لم يصل إلينا من أشعارها
ما خلا ثمانية أبيات ستة منها في غرض المدح وبيتان (٢) في الشكوى من الزمان ،
بعد أن (حَجَّتْ وِعَمَّرَتْ) عمراً طويلاً وأَسَنَّتْ (٣). وفيما روت عن نفسها أنها جاوزت
سَبْعاً وَسَبْعِينَ عاماً (٤).. قال المِقْرِي (٥) إن شهرتها كانت بعد الأربعمئة أي أنها
سَلَخَتْ أعواماً في القَرْنِ الرابعِ واشتهرت في القَرْنِ الخامسِ ، فهي من الشواعر
المخضرمات في الأدب الأندلسي.

(١) الصلاة: ج ٢ ص ٢٩٤. جذوة المقتبس: ص ٣٨٨ - ٣٨٩ بغية الملتبس: ص ٥٢٨. نزهة

الجلساء ص ٩٠ - ٩١، النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٧.

(٢) نرجح سقوطهما من قصيدة طويلة نظمها بعد أن تقدمت في السن. انظر النفح: ج ٦ م ٣
ص ٢٧.

(٣) جذوة المقتبس: ص ٣٨٨. بغية الملتبس: ص ٥٢٨. الصلاة: ج ٢ ص ٦٩٤. النفح: ج ٦
م ٣ ص ٢٧.

(٤) انظر المصادر السابقة: والصفحات نفسها.

(٥) النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٧.

* الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث من بني سليم. ولدت سنة (٥٧٥م - وتوفيت
٦٦٤م) تزوجت واحداً من أولاد عمها وانفصلت عنه ثم تزوجت بمرداس بن أبي عامر
السلمي وانجبت يزيد ومعاوية وعمرو. أخوتها صخر ومعاوية قتلا. أهم ما يميز شعرها
انتقالها إلى المدح بقصد الرثاء. ولها ديوان شعر شرحه الكثيرون. انظر شرح ديوان
الخنساء،: ص ٥ - ٧. منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

(٣) أمُّ العلاء^(١) بنت يوسف الحجارية :-

تطلُّ علينا شاعرة أخرى من حرائر الأندلس اللاتي فخرت بلادها وقبيلتها بها^(٢). كانت تدعى أمُّ العلاء بنت يوسف بن حزر المجلس^(٣) الحجارية^(٤) شهرت بهذه الكنية ولم يعرف لها غير هذا الاسم . وعُرفت بالحجارية . نسبةً إلى بلدتها مدينة وادي الحجاره التي تقع في شمالي الأندلس^(٥) . وأطلق عليها صاحب المغرب (البربرية)^(٦) . على ما يبدو كانت صاحبة قُدراتٍ فنية . حيث عُدَّت في نظر بعض الباحثين^(٧) واحدة من أرقَّ شاعرات عصرها، ومن أصحاب الهمم ذات العزائم . وأقدرهن على التعبير عن نفسها^(٨) . فخرت بها^(٩) بلادها . لما جاء في شعرها الحسن من لَفَاتٍ لوطنها . ولم يصل إلينا من شعرها في هذا الغرض سوى أبيات تغنت فيها

(١) المغرب في حلي المغرب: ج٢ ص ٣٨ . وانظر نزهة الجلساء : ص ٢٢ - ٢٣ . نفح الطيب: ج٥ ص ٣٠١ - ٣٠٢ . الدر المنثور ص ٥٤ . أعلام النساء: ج٣ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ . المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة : ص ٢٤٥ . شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢١٠ . شاعرات العرب : ص ٢٥٨ . تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس : ج٤ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ . الشعر النسوي في الأندلس : ص ٩٤ . الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) المغرب: ج٢ ص ٣٨، نقلا عن المسهب للحجاري .

(٣) نزهة الجلساء : ص ٣٢ - ٣٣ .

(٤) انظر جميع هامش رقم (١) .

(٥) تاريخ الأدب العربي في المغرب والأندلس : ج٤ ص ٥٠٦ .

(٦) المغرب : ج٢ ص ٣٨ .

(٧) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنون: ص ١٧٦ - ١٧٧ .

(٨) المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٩) المغرب : ج٢ ص ٣٨ .

بحبها لبستانها^(١). ولا نعلم ربما نظمت قصائد تذبّ عذوبةً حباً لوطنها، لكن المؤرخين أسقطوها من حسابهم. أو أنها ضاعت في بطون الكتب. كانت شاعرة مكثرة القول. محسنة للشعر جيدة النظم وفي شعرها تأب وتحرز وكبرياء. ومما يؤكد كثرة نظمها قول محقق المغرب الدكتور شوقي ضيف:-

(إن المقرّي نقلَ عن نسخةٍ من المغرب غير هذه التي نشرها وأكثر من تعرض لهم في طليطلة روى لهم أشعاراً ليست في نسختنا)^(٢) ونحن نذهب مع ما ذهب إليه الدكتور شوقي ضيف لأننا وجدنا أبياتاً في المغرب مغايرة للأبيات التي وردت في النسخ مما يؤكد صحة كلامه. كما ذكر السيوطي المتوفى (٩١١هـ) في نزهة الجلساء أبياتاً لم ترد في المغرب ولا في النسخ. وقد أشار إلى ذلك الدكتور صلاح الدين^(٣) المنجد في تحقيقه للنزهة. إن هذه الشاعرة اللببية الفصيحة الأديبة ذات القوائد الطنانة^(٤). قال عنها بعض الباحثين (لها موشحات رنانة)^(٥) ولكن لم يُشر إلى ذلك الرواة. أو أحد من المؤرخين. كما أننا لم نَعثر على دليل يُؤيد صحة ما ذهب إليه. وقد وصل لنا من أشعارها العذبة ثلاثة عشر بيتاً سنذكرها لاحقاً.

ولم تُحدّد سنة وفاتها بل قال عنها صاحب المغرب إنها من أهل المائة الخامسة^(٦).

-
- (١) المصدر نفسه والصفحة نفسها.
 - (٢) انظر هامش المغرب: جـ ٢ ص ٣٨.
 - (٣) نزهة الجلساء: هامش ص ٢٢.
 - (٤) الدر المنثور: ص ٥٤.
 - (٥) المصدر نفسه: والصفحة نفسها. وانظر المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص ٢٤٥.
 - (٦) المغرب في حلي المغرب: جـ ٢ ص ٣٨. اعلام النساء: جـ ٣ ص ٣٢٧.

(٤) أمّ الكرم^(١) بنت المعتصم بن صمادح:-

وقد دعاها السيوطي (ت ٩١١هـ) والمقري (ت ١٠٤١) أمّ الكرام^(٢) وهي ابنة^(٣) المعتصم بالله أبي يحيى محمد بن معن بن صمادح التجيبي المتوفي سنة (٤٨٤هـ) ملك المرية^(٤). إن هذه الحرة الأميرة كانت من بيت ملك كريم. وكان والدها شاعراً رزيناً. وكما لاحظنا من عادة ملوك الأندلس أن يعهدوا بناتهم ونساءهم لمعلمات يتعهدن بتعليمهن وتهذيبهن (فاعتني والدها بتأديبها لما رأى من ذكائها)^(٥)، فقالت الشعر ونظمت قصائد ، ويبدو من مخايل ذكائها وفطنتها أنها لم تقتصر على

(١) المغرب في حلى المغرب: جـ ٢ ص ٢٠٢. وانظر صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي الوافي بالوفيات: جـ ٩ ص ٣٨٥ ترجمة ٤٣١٢. ونزهة الجلساء: ص ٢٠.
نفع الطيب: جـ ٥ م ٣ ص ٣٠٢. الدر المنثور: ص ٥٤. اعلام النساء: جـ ٤ ص ٢٣٨. نيكل مختارات من الشعر الأندلسي: ص ١٢٨. الشعر النسوي: ص ٩٧ الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص ١٤٧- ١٤٩.

(٢) نزهة الجلساء : ص ٢٠. نفع الطيب: جـ ٥ م ٣ ص ٣٠٢.

(٣) قلند العقيان: ص ٥٣. المغرب : جـ ٢ ص ٢٠٢. الوافي بالوفيات: جـ ٩ ص ٣٨٥. نزهة

الجلساء : ص ٢٠. نفع الطيب: جـ ٥ م ٣ ص ٣٠٢.

(٤) البيان المغرب : جـ ٣ ص ١٦٧. نفع الطيب: جـ ٥ م ٣ ص ٣٠٢.

* محمد بن معن بن صمادح الملقب بالمعتصم التجيبي. ولي بعد وفاة أبيه المتوفي (٤٤٣هـ) وسمي نفسه معز الدولة ، ولقب (المعتصم بالله الوائق بفضل الله) وكان شاعراً مقلاً كريماً. عندما حاصر المرابطون المرية واستولوا عليها. فلما سمع المعتصم قال (لا إله إلا الله نغص علينا كل شيء حتى الموت) توفي في المرية سنة (٤٨٤هـ).

انظر ترجمته في القلند طبعة باريس: ص ٥٣ - ٥٨ . الوافي بالوفيات: جـ ٥ ص ٤٥.

ترجمة (٢٠٣) تاريخ الأدب العربي في الأندلس والمغرب: جـ ٤ ص ٦٦٦.

* المرية: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء. من قرى الدم يمرى إذا جرى. هي مدينة كبيرة من كورة البيرة تقع على البحر المتوسط. واسمها بالأسبانية AL meriea. وكانت تحل منها مراكب التجار. وأهلها أعل صورا وأفصح لسانا. انظر معجم البلدان : ياقوت الحموي جـ ١٧ ص ١١٩ - ١٢٠. والمعجب: ص ٧.

(٥) المغرب : جـ ٢ ص ٢٠٢. الوافي بالوفيات: جـ ٩ ص ٣٨٥ ترجمة ٤٣١٢.

قول الشعرِ فراحَتْ تَعْمَلُ في صنعِ الموشحات^(١). ولم يصل إلينا شيء من موشحاتها. وكل الذي وصل إلينا من إنتاجها الشعري خمسة أبيات. في الغزل. إن هذه الشاعرة الوشاحية (الصمادية)^(٢) التي (افتخرت بها نساء العرب)^(٣). وقعت في غرام فتى وسيم كان قد شُهرَ بجماله وعُرفَ بالسمار^(٤) في دانية وراحت تشهر بحبها وتتشوق، وتتغزل بفتاها وقيل صنعت فيه الموشحات^(٥). ولم تضع حساباً لأبيها الملك ولاخوتها الشعراء^(٦).. وحينما علم والدها بأمرها خفي أمر السمار هذا من ذلك الحين، وربما قتله فخفي أمره. وقد علل أحد الباحثين سبب اختفاء الحبيب قائلاً (وقول ابن سعيد عن حبيبها يحتمل امرين: أما أن الحبيب قتله المعتصم، عندما علم بعلاقته بانبته — بوسيلة أخرى — وإما أنه خاف على نفسه فاخفى حالها وأكد من أن أباه الملك قد اطلع على قصتها)^(٧). إن الأبيات الشعرية التي نظمها أم الكرم حية

(١) المغرب: جـ ٢ ص ٢٠٢ نقلاً عن المسهب للحجاري. نزهة الجلساء: ص ٢٠. النفح: جـ ٥ ص ٣٠٢.

(٢) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص ١٤٩.

(٣) الدر المنثور: ص ٥٤.

* السمار: يظهر أنه فتى من فتيان قصر والدها. لم أجد له ترجمة.

* دانية: مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية تقع على ضفة النهر شرقاً، انظر موقعها على الخارطة اللاحقة في الفصل نفسه. ص ٣٤٣.

(٤) المغرب: جـ ٢ ص ٢٠٢. نزهة الجلساء: ص ٢٠. فوات الوفيات: جـ ٩ ص ٣٨٥. النفح:

جـ ٥ م ٣ ص ٣٠٢. إعلام النساء: جـ ٤ ص ٢٣٨. اعلام النساء: جـ ٤ ص ٢٣٨.

(٥) المغرب: جـ ٢ ص ٢٠٢. نزهة الجلساء: ص ٢٠. النفح: جـ ٥ ص ٣٠٢.

(٦) قيل كان لها ثلاثة أخوة هم: الواثق عز الدولة أبو محمد عبد الله تولى السلطنة (٤٥٠ هـ)

وربيع الدولة (٥٤١ هـ) الحاجب أبو زكريا يحيى. وأبو جعفر أحمد. المغرب: جـ ٢

ص ٢٠٢. نزهة الجلساء: ص ٢٠. النفح: جـ ٢ ص ٣٠٢.

(٧) الشعر النسيبي في الأندلس: ص ٩٧.

اثبتت فيها الجرأة والبراعة - وبدت فيها فنانة وأديبة بارزة بصرخاتها المسموعة في الغزل.

(٥) صفية بنت عبد الله الربيعي (١) :-

إنَّ المدرسة الأديبية التي تزعمتها النسوة اللاتي عشن في فترة القرن الخامس الهجري كانت من بينهنَّ شاعرة شابة رقيقة القول جيدة النظم ذات ثقة واعتداد وكبرياء. هذه هي صفية الربيعي التي (اتصفت بحسن الخط) (٢). لقد تأسف مترجموها على شبابها حيث أقلَّ كوكبها وهي في ريعان الشباب وعزَّ الحيوية والنضارة (٣). ودون سن الثلاثين وكانت وفاتها سنة سبع عشرة (٤) وأربعمائة. وزبما قلة الأعوام التي عاشتها كانت سبباً من أسباب سكوت الرواة عن أخبارها مع قلتها .. ويظهر أنها اشتهرت في نقل المخطوطات (٥). لذا (عابت امرأة خطها) (٦) إنَّ هذه الأديبة الشاعرة الموصوفة. بعد أن ألَبَّتها تلك المرأة أجابتها بثلاثة (٧) أبيات أثبتت لها إجادتها

-
- (١) جذوة المقتبس: ص ٣٨٨ ترجمة (٩٨٥). بغية الملتبس: ص ٥٢٧ ترجمة (١٥٨٣). الصلة: ج ٢ ص ٦٩٣. الشعر النسوي: ص ٦٦. أعلام النساء: ج ٢ ص ٣٤٠. سلمى الحفار: في ظلال الأندلس: ص ١١٧.
- (٢) جذوة المقتبس: ص ٤١٢ ترجمة ٩٨٥ - الصلة: ج ٢ ص ٦٩٣ - الشعر النسوي: ص ٦٦. والصلة: ج ٢ ص ٦٥٤ - ٦٥٥. في طبعة عن تصوير الجامعة العربية تحت رقم ١٥٣٣.
- (٣) الشعر النسوي: ص ٦٦.
- (٤) جذوة المقتبس: ص ٣٨٨. الصلة: ج ٢ ص ٦٩٣.
- (٥) في ظلال الأندلس: ص ١١٧.
- (٦) جذوة المقتبس: ص ٣٨٩. بغية الملتبس: ص ٥٢٧. الصلة: ج ٢ ص ٦٩٣.
- (٧) جذوة المقتبس: ص ٣٣٨ ترجمة ٩٨٥، وانظر: بغية الملتبس: ص ٥٢٧. الصلة: ج ٢ ص ٦٩٣. أعلام النساء: ج ٢ ص ٣٤٠ ط. الثانية. والشعر النسوي: ص ٦٦.

في النَّظْمِ ، وجمالِ خطها في الكتابة. حيث دافعت عن نفسها ورقعت هذا الاتهام
الباطل الموجه إليها قائلة^(١):- [الطويل]

وعائبة خطي فقلت لها أقصري
وناديت كفي كي تجود بخطها
فخطت بأبيات ثلاث نظمتها
ليبدو لها خطي وقلت لها انظري

(٦) مهجة^(٢) بنت التّياني القرطبية :-

شاعرة أندلسية من حرائر قرطبة^(٣). ومن أديبات^(٤) القرن الخامس الهجري.
كانت معاصرة لأستاذتها ولادة^(٥) التي توفيت سنة (٤٨٤هـ). تنتمي مهجة إلى عائلة
فقيرة كادحة فولدها على ما جاء في المغرب^(٦) (كان يبيع التين)^(٧) فأكتسبت لقبها
من مهنته . وعرفت بمهجة التّياني، قيل كانت من أجمل^(٨) نساء زمانها. وأكثرهن
فتنةً وسحراً، وأخفهن^(٩) روحاً وظرفاً. وكانت^(١٠) تدخل عند ولادة بنت المستكفي

- (١) جذوة المقتبس: ص ٣٨٨ ترجمة (٣٨٥) . الصلاة: ج ٢ ص ٦٥٥ ترجمة (١٥٣٣) تحقيق
عزت العطار الحسيني ط ١٩٥٥.
- (٢) المغرب في حلي المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. نفع الطيب: ج ٦ م ٣
ص ٢٨ - ٢٩. اعلام النساء: ص ٣٧. الاعلام: ج ٧ ص ٣١١. الدر المنثور: ص ٥١٣.
الشعر النسوي: ص ٨٨ - ٨٩. الأدب الأندلسي موضوعاته وفتونه: ص ٣١٤.
- (٣) نزهة الجلساء: ص ٩٣.
- (٤) المغرب في حلي المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. نفع الطيب: ج ٦ م ٣
ص ٢٨. سنذكر ترجمة لولادة بنت المستكفي.
- (٥) المغرب في حلي المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نقلا عن المسهب.
- (٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها. نزهة الجلساء: ص ٩٣. الاعلام: ج ٧ ص ٣١١.
- (٧) المغرب في حلي المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ١٣.
- (٨) المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٨. الدر المنثور:
٥١٣. جاء في النفع في (١) الهامش (أجل نساء زمانها).
- (٩) المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٩.
- (١٠) المغرب: ج ١ ص ١٤٣.

الشاعرة. وبعد أن لَمَسَتْ منها خِفَّةَ الروح^(١)، والظرفِ واستعداداً لقول الشعر والجرأة تولَّت تعليمها، ولازمت تأديبها^(٢). ولمواظبتها على التعليم خَلَقَتْ أستاذتها منها شاعرة (مُبدعة مَهِيبة الجانب)^(٣) في الغزل والهجاء. وذلك للرعاية الأدبية التي أولتها. وسرعان ما أنكرت التلميذة فضل معلمتها. بعد أن أتقنت القول واشتد ساعدها في النظر، ولما وقع خلافٌ بينهما^(٤). قالت قافيةً هَجَّتْها هجاءً بذيئاً فاحشاً مقذعاً. فاقت به مشاهير الهجائين^(٥). وهما: - [السريع]

ولأدَّةٍ قَدْ صِرتْ ولأدَّةٍ من دُونِ بعلٍ فَضِيحِ الكائِمِ
حَكَتْ لَنَا مَرِيماً لَكِنه نَخْلَةٌ.....

مما دعا نقاد زمانها بعد سماعهم البيتين أن يقرّوا (لها بالتقدم)^(٦) حين قالت (ما نقص عنه ابن الرومي)^(٧). قال بعض الأكابر: (لو سمع ابن الرومي هذا لأقرّ لها بالتقدم)^(٨).

تبين لنا - أن الحرائر من الشواعر سمت مرتبتهن الشعرية إلى مرتبة الفحول من الشعراء أمثال ابن الرومي، بل سجلت تقدماً على فحول الشعراء من

(١) المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٨ - ٢٩. الإعلام: ج ٧ ص ٣١١.

(٢) المغرب: ج ١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٨.

(٣) الشعر النسوي: ص ٨٨.

(٤) نزهة الجلساء: ص ٩٣.

(٥) نقصد ابن الرومي مولى عبد الله بن عيسى بن جعفر بن المنصور. من أشهر الشعراء الهجائين في القرن الثالث الهجري. ولد ببغداد (٢٢١هـ) وتوفي (٢٧٦هـ). ودفن في مقبرة البستان. انظر عباس محمود العقاد: ابن الرومي ط ٢.

(٦) النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٩.

(٧) المغرب: ج ١ ص ١٤٣ - مطبعة حجازي - القاهرة - ١٩٣٨.

(٨) النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٩. اعلام النساء: ص ٣٧.

(الذکران) ^(١) في البتین اللذین وصلنا إلینا وُعدا من أجودِ الشعر وأطیبه قالتهمَا فی مدحها (أیام صلحها) ^(٢) وَوَقَّتْ تَأدیبها عند ولادة . مما دعا الدكتور جودت الركابی أن یذهب سهواً حین قال (ومهجة القرطیبة جاریتها) ^(٣) ویقصد جاریة ولادة، والحقیقة اتضحت، هی أنها كانت تدخل علیها لتتلقى الشعرَ وتتهلّ الأدبَ منها فولادة أستاذة مهجة ولیست مولاتها.. توفیت نحو (٤٩٠هـ) ^(٤) . لقد أجادت مهجةً فی المدح وأسرفت فی الهجاء الذی ابتعدت فیهِ عن الحیاء الذی عدّ حلیة المرأة وزینة أخلاقها.

(٧) قَسْمُونَة ^(٥) بنت إسماعیل الیهودی :-

شاعرة یهودیة من شواعر الأندلس. أغفلتها المصادر وذكر خبرها أحمد بن محمد المقرئ المتوفى (١٠٤١هـ) وانفرد به . ولم یحدد زمنها ولم یذكر شیئاً عن بلدها. قیل إن والدها شاعر فبَحَثنا فی کُتُبِ الأدبِ والتراجم فوجدنا اخباراً فی الإحاطة. نقلنا ^(٦) عن ابن حیان (٤٦٩هـ) قال كان هذا اللعین فی ذاته. ویقصد إسماعیل ابن نغزالة الیهودی ولعله والد قسmonة. من (أکمل الرجال علماً وحلماً وفهماً، وذكاءً، ودماثةً وركانةً، ودهاءً، ومكرأً، وملکاً لنفسه) ^(٧) ناهیک من رجل کتب

(١) المغرب : ج١ ص ١٤٣.

(٢) الدر المنثور: ص ٥١٣.

(٣) فی الأدب الأندلسی : ص ٩٨.

(٤) الإعلام : ج٧ ص ٣١١.

(٥) النسخ : ج٥ ص ٣٢ - ٧٢ - ٧٣ . إعلام النساء: ج٤ ص ٢٠٧ . شاعرات العرب: ص ٢٢٤.

الشعر النسوی فی الأندلس : ص ١٠٤ - ١٠٥.

الأدب الأندلسی موضوعاته وفنونه: ص ٢٣٤ - ٢٣٥.

(٦) الإحاطة فی أخبار غرناطة: ج١ ص ٤٤٦ . البیان المغرب: ج٣ ص ٢٦٤.

(٧) الإحاطة : ج١ ص ٤٤٦.

بالقلمين واعتنى بالعلمين، وشغف باللسان العربي، ونظر فيه، وقرأ كتبه. وطالع أصوله، فانطلقت يده ولسانه^(١) توفي سنة (٤٥٩هـ). وقيل كان له ولد يسمى يوسف^(٢) ويكنى بأبي حسين حمله والده على مطالعة الكتب وجمع إليه المعلمين والأدباء من كل ناحية. قتل سنة (٤٥٩هـ) وعقب لسان الدين ابن الخطيب المتوفي (٧٧٦هـ) قائلاً، وإنما أتينا ببعض أخباره (لكونه ممن لا يمنع ذكره في أعلام الأدباء والأفراد إلا نحلته)^(٣)، فتبين لنا أن نحلة قسونة بنت إسماعيل كانت سبباً من أسباب سكوت المصادر عنها. فإذا صحت أخبار والدها فهي ابنة إسماعيل بن نغزالة

اليهودي الذي (تولى بغرناطة جباية المال وتبوير أكثر الأعصا)^(٤) وقد استوزر صاحب غرناطة^(٥). باديس بن حبوس المتوفى (٤٦٧هـ). فهي ابنة الوزير إسماعيل ومن أهل غرناطة. وعلى عادة الملوك والوزراء الذين شهروا بتأديب وتعليم بناتهم. ولما كان أبوها شاعراً على ما جاء في النفع^(٦) فاعتنى بتأديبها (وربما صنع من الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر)^(٧). على الرغم من أن عصر

(١) المصدر نفسه: ج ١ ص ٤٤٦

* إسماعيل بن نغزالة اليهودي: كان هذا اليهودي من أهل الأدب والشعر فدام أمره كذلك إلى أن هلك. وترك ابناً له اسمه يوسف لم يعرف ذلّة الذمة ولا قدر اليهودية. انظر البيان المغرب:

ج ٣ ص ٢٦٤.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة: ج ١ ص ٤٤٨.

(٣) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) الذخيرة: ق ١ م ٢ ص ٧٦٦.

(٥) الإحاطة: ج ١ ص ٤٤٢، وسماه صاحب الذخيرة: ق ١ م ٢ ص ٧٦١ ابن النغريلي الإسرائيلي.

وقد خلط بين أعمال الإبن وأبيه كما أشار محقق الذخيرة. د. إحسان عباس في هامش

الذخيرة: ق ١ م ٢ ص ٧٦١.

(٦) النفع: ج ٥ م ٣ ص ٧٢.

(٧) النفع: ج ٥ م ٣ ص ٧٣.

الطوائف تميز بازدهار الموشحات ولكننا لا نستطيع أن نذهب إلى ما ذهب إليه الباحث محمد^(١) منتصر الريسوني. في جعلها شاعرة وشاحية. لأن المقرئ أشار إلى والدها في صنع الموشحات. وانفرد بالخبر. ويبدو غير متأكد منه. والمقرئ متأخر في فترته. فلا يمكن أن نسلّم جدلاً برأيه - دون قرينة أو دليل قاطع. ثم أن الباحث نفسه اعتمد على ازدهار الموشحات في عصر الطوائف فنسبها إلى ذلك العصر. وغفل عنه طريقته واسلوبه في إجازة الأشعار. حيث ذكر المقرئ^(٢): (وقال لها أبوها يوماً: أجيّزي : [الكامل])

لي صاحب ذو بهجة قد قابلت منعاً بظهرٍ واستحلت جرمها

ففكرت غير كثير كعادة الشواعر الجوارى والحرائر فى إجازة الآيات
وقالت: [الكامل]

كالشمس منها البدرُ يقبس نورةً أبداً ويكف بعد ذلك جرمها

وإذا أمعنا النظر في طريقته بإجازة الأشعار نجدها واردة كثيراً عند شواعر الطوائف الجوارى منهن والحرائر. فقد اتمت الجارية العبادية شطر بيت المعتصم بالله^(٣) المتوفى سنة ٤٦١هـ). واجازت اعتماد الرميكية عجز البيت^(٤) بعد أن عجز ابن عمار عنه. وكذلك حصل مع الجارية غاية^(٥) المنى فقالت تُجيزَ شطرَ المعتصم بن صمادح المتوفى (٤٨٤هـ) عندما أرادَ اختبارَها. فقسمونةً إحدى الشاعرات التي شابهن وسارت على طريقة زميلاتها في إجازة البيت الشعري

(١) الشعر النسوي في الأندلس: ص ١٠٤.

(٢) النفع: ج ٥ م ٣ ص ٧٣.

(٣) النفع: ج ٦ م ٣ ص ١٩.

(٤) النفع: ج ٥ م ٣ ص ٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه: ج ٦ م ٣ ص ٢٢.

وإتمته مثل شواعر عصرها. وجاء باحث^(١) آخر بدليل غير منطقي حيث جعلها من شاعرات غرناطة ضمن فترة القرن الرابع الهجري معللاً بتوافر اليهود وكثرتهم فيها. فتوافر اليهود ليس دليلاً قاطعاً إن لم يقترن بقرينة، وقرينته أن إسماعيل اليهودي كان من أهل غرناطة^(٢). إن المقري كثيراً ما يخلط بين فترات الشواعر حيث سرد أخبار مهجة القرطبية^(٣) وجعلها بين شاعرات القرن السادس الهجري في حين أن هذه الشاعرة عاصرت ولادة. وتلمذت على يدها، والمعروف عن ولادة أنها توفيت عام (٤٨٨هـ).

ثم أن ذلك الباحث جعل الفصل تحت عنوان (شاعرات القرن السادس). وأشار إلى قسمونة على أنها شاعرة من شاعرات القرن السابع^(٤). والحقيقة أنها من شاعرات القرن الخامس. فهذا نوع من الاضطراب الذي سار عليه معظم المؤرخين وتبعهم الباحثون دون تمحيص. أن قسمونة اليهودية (انتى والدها بتأديبها)^(٥) حتى أصبحت أشعر منه . على حد تعبيره ورأيه. فبعد أن أجازته بكل حذق ومهارة، قام كالمجنون والفرحة غمرت قلبه (وضمها إلى صدره وجعل يقبل رأسها ويقول : أنتِ والعشر كلمات أشعر مني)^(٦).

هذه الظاهرة ألا تلفت النظر إلى حقد المؤرخين والرواة على شاعريتهن.

لقد اعترف الأدباء والشعراء والنقاد بتمكنهن، في حين أصر المؤرخون على تجاهلهن واغفال أشعارهن (*). فلم يصل إلينا من شعرها إلا خمسة أبيات عرفنا من

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه : ص ٢٢٤.

(٢) الذخيرة : ق ١ م ٢ ص ٧٦٦ . وانظر الإحاطة: ج ١ ص ٤٤٢.

(٣) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٢٩.

(٤) الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه: ص ٢٣٤- ٢٣٥.

(٥) النفع : ج ٥ م ٣ ص ٧٣.

(٦) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

* قد يعذر الرواة في إبتعادهم عن نقل أخبارها لزميتها.

خلالها أنها شاعرة حملت مسحة من الجمال^(١) .. ولها ثقافة وإطلاع واسع ومعرفة بأحوال الشمس والقمر، ويظهر أنها بقيت عذراء ولم تتزوج، ذلك لأنها وقفت يوماً أمام المرأة ونظرت جمالها فزاعها ألا يتقدم إليها أحد يطلب يدها وهي الوسيمة وقد بلغت أوان التزويج^(٢). فقالت معبرة عن شكواها أسفة على جمالها:- [الطويل]

أرى روضة قد حان منها قطافها ولست أرى جان قد يمدُّ لها يدا^(٣)
فوا أسفاً يمضي الشبابُ مُضِيعاً ويبقى الذي ما إن أُسميه مفرداً

فسمعها والدها (فَنظَر في تزويجها)^(٤). ولم يُخبرنا عن أمر زواجها والله أعلم.

إن هذه الشاعرة اليهودية على الرغم من كونها بعيدة عن لغة القرآن إلا أنها تميزت بالفصاحة والبلاغة وإجازة الأبيات على البديهة مع سرعة خاطر، وصدق وصراحة في التعبير عن المشاعر. ربما لكونها من نساء غرناطة حيث كُنَّ أعرف بالشعر ومعانيه وصوغه وصقله من غيرهن، فقد ذكر المِقْرِي نقلًا عن ابن سعيد المتوفي (٦٨٥هـ) (يقال لنساء غرناطة المشهورات بالحب والجلالة العرييات لمحافظتهن على المعاني العربية)^(٥). وقد سرن على سنن العرب في صفاء الشعر وفصاحة المعاني، وعدت قسmonة واحدة منهن.

(١) النفع : جـ ٥ م ٣ ص ٧٣.

(٢) المصدر نفسه جـ ٥ م ٣ ص ٧٢.

(٣) المصدر نفسه: جـ ٥ م ٣ : ص ٧٣.

(٤) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٥) النفع : جـ ٦ م ٣ ص ٢٥. المرأة العربية: جـ ٣ ص ١٣٣.

(٨) نَزْهُون بنت القُلاعي (١) :-

وهناك من سماها من المؤرخين ، نَزْهُون (٢) القُليعي ، والقُلاعية (٣) ، إلا أن ابن سعيد المتوفى (٦٨٥ هـ) المؤرخ الشهير الذي أصله من نواحي غرناطة المدينة

(١) وردت أخبارها وأشعارها في بغية الملتمس : ص ٥٣٠ ترجمة (١٥٨٨) . المقتضب: ص ١٦٤ . ابن الأبار : تحفة القادم: ص ٥٨٣- ٥٨٤ (مقتضب) نشرها البستاني . استاذ الأدب العربي في معهد الدروس المغربية - تطوان . عن مجلة المشرق - ١٩٤٧ .
المغرب : ح ٢ ص ١٢١ . رايات المبرزين : ص ٦٠ . الإحاطة في أخبار غرناطة: ح ١ ص ٤٣٣- ٤٣٥ . دار المعارف . نزهة الجلساء : ص ٩٧- ١٠٠ . نفع الطيب: ح ٦ م ٣ ص ٣١- ٣٤ نقلا عن المسهب للحجاري - شكيب ارسلان . الحلل السندسية : ح ١ ص ٢١٤ . الدر المنثور: ص ٥١٩ - إعلام النساء : ح ٥ ص ١٦٧- ١٧٠ . الاعلام: ح ٨ ص ١٧ . نكيل: مختارات من الشعر الأندلسي : ص ١٨٠- ١٨١ . شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢٢٢- ٢٢٣ . المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ح ٢ ص ١٣٤ . قصة الأدب في الأندلس : ح ١ ص ٤٢٢ . مجلة علوم إسلامية : ص ١- ٦ . مجلد ١- لسنة ١٩٦٠ بحث نشره ذا كتر . س . م . استرن موشحة لنزهون . (إدارة علوم إسلامية) . شاعرات العرب: ص ٤٤٨ . الشعر النسوي في الأندلس: ص ٩٠- ٩٣ . تاريخ الأدب العربي في الأندلس : ص ٢٣٨ .

(٢) الحلل السندسية : ح ١ ص ٢١٤ . النفح : ح ٦ م ٣ ص ٣٣ .

نزهون: شاع عند الأندلسيين أسماء على هذا الوزن للذكور والإناث مثل زيدون وعبدون ، وهيون . نزهون .

القليعي ، للأمانة تنطق الألف ياء فتكتب لسماعها وهي لغة عند الأندلسيين . أو نسبة إلى القلعة التي وفد منها أهلها وهي قلعة (يحصب) قرب غرناطة .

(٣) بغية الملتمس : ص ٥٣٠ . تحفة القادم: ص ٥٨٣ عن مجلة المشرق - ١٩٤٧ . نفع الطيب : ح ٦ م ٣ ص ٣٢ .

التي توطنتها نزهون. سماها في بعض مؤلفاته نزهون بنت القلاعي (١) ونزهون القليعيّة ، شاعرة غرناطية (٢). مشهورة (٣).

قال ابن الأبار (٤): إن نزهون كانت بنت أبي بكر محمد بن أحمد القليعي المتوفى (٥١٠هـ) يشير إلى كون هذا افتراضاً لا غير حيث يقول (في ما أحسب). لقد ترجم لسان الدين بن الخطيب لجدّها أحمد فقال (٥): أحمد بن خلف بن عبد الملك الفسائي، ويكنى أبا جعفر ، وتوفي أحمد القليعي في سنة (٤٩٨هـ) . وابنه محمد بن أحمد القليعي الذي يحسب ابن الأبار أنه كان والد نزهون وهو قاضي غرناطة كما يُحدّثُ ابن الأبار في ترجمته في (التكملة لكتاب الصلة). لكن الموشحة التي وردت في المخطوطة الوحيدة كانت تحت عنوان (موشحة لنزهون بنت الوزير القليعي) (٦) ويبدو أن والدنزهون هو أحمد بن خلف القليعي الذي يلقبه ابن الخطيب بالوزير. لا محمد بن أحمد القاضي القليعي (٧)، ولكن ليس من المحال أن القاضي القليعي محمد بن أحمد لقب بالوزير على عادة أهل الأندلس الذين كثر عندهم استعمال هذا اللقب.

ومع هذا كله فإن ابن سعيد إن أصاب في تسميته لنزهون ببنت القلاعي عوض القليعي، فلعله لا صلة لنزهو بالقليعيين أصلاً، هذا ما ذهب إليه ناشر موشحة

(١) المغرب : ح ٢ ص ١٢١. رايات المبرزين: ص ٦٠.

(٢) نزهة الجساء : ص ٩٩. النفح: ح ٦ م ٣ ص ٣٢. لفي برفنسال : سلسلة محاضرات عامة في

الأدب الأندلسي : ص ٢٦.

(٣) الحل السندسية : ح ١ ص ٢١٤.

(٤) التكملة لكتاب الصلة: ح ٢ ص ١٤٦ (نشر كوديرا) مدريد.

(٥) الإحاطة في أخبار غرناطة : ص ١٥٣ - ١٥٦.

(٦) انظر مجلة علوم إسلامية . عدد السنة ١٩٦٠ ص ٥ - ٦ نقلا عن المخطوطة الوحيدة الموجودة

عند الأستاذ ج. س. كلين وانظر مجلة الأندلس: ص ٣٣٩ - ٣٦٩. المجلد الثالث والعشرون

لسنة ١٩٥٨.

(٧) التكملة لكتاب الصلة: ح ٢ ص ١٤٦. نشر (كوديرا) مدريد.

نزهون^(١). وإن أصاب فهي تنتمي إلى عائلة عريقة (من جلة)^(٢) أعيان غرناطة، وعلى أية حال فهي شاعرة وشاحنة صادقة^(٣) من حرائر الأندلس. على ما جاء في النفع نقلاً عن المغرب (من أهل المائة الخامسة)^(٤). فلا بدّ من أن هذه الشاعرة سلخت أعواماً عديدة من عمرها في القرن الخامس وعاشت النصف الأول من المائة السادسة فهي تعد من المخضرمات في الأدب الأندلسي ومن المعمرات أيضاً. وقيل انها توفيت سنة (٥٥٠هـ)^(٥)، كانت من الأدبيات الفريدات، ذات جمال فائق^(٦) شارق^(٧)، وحسن رائق^(٨). ونايغة من نوابغ زمانها^(٩). لقد اتفق النقاد والرواة على شاعريتها واختلفوا في صفتها جاء في المغرب (أنها شاعرة ماجنة)^(١٠)، كثيرة

(١) مجلة علوم إسلامية : ص ١ - ٢ - ٣. نشرها ذا كتر . س.م استرن.

(٢) الإحاطة : ج ١ ص ١٥٣.

(٣) المرأة العربية: ج ٣ ص ١٣٤. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢٢٢.

(٤) النفع : ج ٦ م ٣ ص ٣١ نقلا عن المغرب غير النسخة التي حققها شوقي ضيف وانظر إعلام النساء: ج ٢ ص ١٦٧. والدر المنثور: ص ٥٩، ونزهة الجلساء: ص ٩٧ نقلا عن المغرب.

(٥) الإعلام : ج ٨ ص ١٧.

(٦) النفع : ج ٦ م ٣ ص ٣١. وانظر أعلام النساء: ج ٥ ص ١٦٧.

(٧) الدر المنثور: ص ٥١٩.

(٨) النفع : ج ٦ م ٣ ص ٣١ نقلا عن المسهب.

(٩) الحل السفسدية : ج ١ ص ٢١٤ عن (قول الشفندي).

(١٠) الماجنة : المازحة. والمجون لغة: خلط الجدّ بالهزل. مَجَنَ الشيء مجونا صلب وغلظ . ومنه اشتقاق الماجن لصلابة وجهه وقلة استحيائه والمجون كفن من فنون الأدب يشيع عندما يستبخر العمران. وتَرَقُّ الحضارة وتقل ضوابط الجد في المجتمع. انظر لسان العرب:

ص ٤٠٠م الثالث عشر ط. بيروت دار صادر ١٩٥٦م. والمعجم الوسيط : قام بإخراجه إبراهيم مصطفى - أحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار وأشرف على طبعه عبد السلام هارون: ص ٨٦٢. عبد العزيز عتيق : الأدب العربي في الأندلس :

ص ٢٥٥. ط ٢. ١٩٧٦. مصر.

النوادر^(١) إلا أن المقرَّب يصفها نقلاً عن المسهب (بخفة الروح، والانتطباع الزائد والحلاوة. وحفظ الشعر والمعرفة بضرب الأمثال)^(٢). هذا انتطباع الحجاري المتوفى سنة (٥٨٤هـ) عنها.

وقالت زينب^(*) فواز (جوهرة لم يسمح بمثلها الدهر وفريدة فاقت على نساء العصر لطيفة المسامرة حسنة المحاضرة حافظة لأشعار العرب وأمثالها. ولم يكن بغرناطة إذ ذاك أحد من أمثالها)^(٣) إن هذه الشاعرة كانت لها حياة أدبية خاصة تعقد وسط مجالس الرجال من الوزراء والشعراء فقد قيل كان لها (نادٍ لم يؤمه إلا الأفاضل . ومجلسٌ لم يجتمع فيه إلا كل عاقل)^(٤) كل هذا أكدته أخبارها من مساجلات أشعارها مع شعراء زمانها الذين أولعوا بأدبها ومحاضراتها ومذاكراتها. فكان (لها في مجالسهم منزلة عالية)^(٥) قد يكون هذا لطف روحها. وسرعة بديهتها، وحضور^(٦) جوابها ، وضربها (وتصريفها للأمثال)^(٧) بطريقة فكهة ظريفة . ويبدو أنها افتخرت واعترفت بفحولة شعرها حين قالت^(٨):- [المجتث]

(١) المغرب : جـ ٢ ص ١٢١.

(٢) النفع : جـ ٦ م ٣ ص ٣١.

* زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف بن فواز العاملي السورية مولداً وموطناً المصرية منشأً وسكناً. أديبة شاعرة مبدعة انصرفت إلى نظم الشعر فأجادت فيه وجمعت من شعرها ديواناً كبيراً لم يطبع. لها رسائل زينية. وكتاب الدر المنثور في طبقات ربات الخدور ، وكتاب مدارك الكمال في تراجم الرجال وكتاب الجواهر البضيض في مآثر الملك الحميد ، توفيت بالقاهرة سنة ١٩١٤. انظر اعلام النساء: جـ ٢ ص ٩٠.

(٣) الدر المنثور: ص ٥١٩.

(٤) الدر المنثور : ص ٥١٩.

(٥) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢٢٢.

(٦) بغية الملتبس : ص ٥٣٠.

(٧) نزهة الجلساء : ص ٩٧.

(٨) الإحاطة : جـ ١ ص ٤٣٤.

إِنْ كُنْتُ فِي الْخَلْقِ أَنْثَى

فَإِنْ شِعْرِي مُذَكَّرٌ

وَرُطْتُ بِالْفَظِّهَا الَّتِي لَا تَتَحَسَّمُ فِيهَا، دَفَاعاً عَنِ كِرَامَتِهَا وَرِداً لِاعْتِبَارِهَا
وَتَأْتِراً لِتَخْدِيشِ عَرِضِهَا، إِلاَّ أَنَّ الْمَسْلُطِينَ عَلَى الْأَعْرَاضِ الْمَفْحَشِينَ الْأَلْفَاطِ كَانُوا
يَأْلَبُونَهَا وَيضَاقِقُونَهَا وَيَسْمَعُونَهَا كَلِمَاتٍ سَوْقِيَّةً مَبْتَذَلَةً الْأَمْرِ الَّتِي دَعَاها إِلَى مَوَاجَهَتِهِمْ
نَظْماً بِنِظْمٍ ، وَمِنَاقِضَتِهِمْ أحياناً نَثْراً بِنَثْرِ إِضْطِرَارِ تَارَةً وَاخْتِيَاراً أحياناً أُخْرَى .
وَبِفَضْلِ عَمْرِهَا الْمَدِيدِ ، وَخَضْرَمَتِهَا، وَمَجَالِسِهَا، عَاشَرَتْ نِزْهونَ عِدَّةً مِنَ الْمَشَاهِيرِ .
وَإِطْلَعَتْ عَلَى أَحْوَالِهِمْ .

وَسَجَلَتْ لِقَاءَ فِي أَحَدِ مَجَالِسِ الْوَزِيرِ ^(١) أَبِي بَكْرِ بْنِ سَعِيدِ، الْأَدِيبِ وَبِحُضُورِهِ،
تَصَدَّى الشَّاعِرُ أَبُو بَكْرِ الْمَخْزُومِيُّ الْمَوْرُورِيُّ الْمُدَوَّرِيُّ ^(٢) الَّتِي مَاتَ فِي سَنَةِ (٥٤٠هـ) —
لِنِزْهونَ فَأَنْقَعَهَا قِذْعاً مِنْ غَيْرِ مَا تَحْفَظُ بَعْدَ أَنْ سَخَرَتْ مِنْهُ وَمِنْ بِلَدَتِهِ (الْمُدَوَّرِ)
وَغَائِبِ عَلَيْهِ نَشَأَتُهُ بَيْنَ التَّبُوسِ وَالْبَقْرِ، وَسَخَرِيَّتِهَا مِنْ آفَةِ عَمَاهُ فَكَانَ وَقَعَةً أَشَدَّ مَا
يَكُونُ عَلَى رِجْلِ مَكْفُوفٍ ، ثُمَّ تَعْرِيزُهَا بِوَالِدَتِهِ.. مِمَّا أَثَارَتْ سَخَطَهُ عَلَيْهَا.

(١) الإحاطة : ج ١ ص ٤٣٢.

(٢) المدوّر : حصن حصين مشهور بالأندلس. يقع بالقرب من الشمال الشرقي من قرطبة لهم فيه
عدة مواقع مشهورة. والمدور بالإسبانية Almodovar انظر معجم البلدان : ج ١٧ ص ٧٧.
أبو بكر المخزومي الأعمى الموروي (المدوّري). شاعر أعمى شديد القحة والشر كان معروفاً
بالهجاء . مسلطاً على الأعراض. سريع الجواب. ذكي الفطن. فطناً للمعاريض. سابقاً في
ديوان الهجاء فإذا مدح ضعف شعره. انظر الإحاطة : ج ١ ص ٤٣٢. وصفوان بن إدريس :
زاد المسافر: ص ١١٧. أعده وعلق عليه عبد القادر القط. الناشر دار الرائد العربي - لبنان .
(أبو بكر بن سعيد أخو أبي مروان كاتب (أبي زكريا بن غانية) تحفة القادم لابن الأبان: عن
مجلة المشرق نشر الفريد البستاني: ص ٥٨٣، لسنة ١٩٤٧، ونفح الطيب : ج ٢ م
ص ٢٠٤.

وقد أورد هذه الحكاية المؤرخ ابن سعيد المتوفى (٦٨٥هـ) في كتابة (الطالع السعيد في تاريخ بني سعيد) ^(١) الذي لم يصل إلينا - وقد نقل الحوار لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ) في ترجمته للمخزومي المتوفى (٥٤٠هـ) في الإحاطة ^(٢). والمقرى في النفح ^(٣) - قالت نزهون للأعمى (ونراك يا استاذ قديم النعمة، بندٌ وغناء وطيب شراب. تتعجب من تأتبه وتُشبهه بنعيم الجنة، وتقول ما ان يعلم إلا بالسباع ولا يبلغ إليه إلا بالعيان لكن من يجيء من حصن المدور، وينشأ بين ثيوس ويقر من أين له معرفةً بمجالس النغم) ^(٤) فلما استوفت كلامها تتحنح الأعمى، فقالت له : (دعة) ^(٥) فقال : من هذه ...؟! فقالت : عجوز مقام أمك ، فقال: كذبت ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نعمة ... محترفة ... منها على فرسخ، فقال له أبو بكر: يا أستاذ هذه نزهون بنت القلاعي الشاعرة الأديبة، فقال : سمعتُ بها لا أسمعها الله خيراً ، ... فقالت له: يا شيخٍ سوءٍ تناقضت(*).. وأي خيرٍ أفضل للمرأة؟ ^(٦) فنراها سخرت منه ثانيةً بطريقتها الخاصة المزوجة بالدعابة. مما دعاه أن يفكر ساعة ثم يقول معرضاً بها تعريضاً مقصوداً للإنتقاص من شرفها، والنيل منها قائلاً ^(٧):-

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة: ح ١ ص ٤٣٢.

(٢) المصدر نفسه : ح ١ ص ٤٣٢ - ٤٣٥.

(٣) النفح: ح ٦ م ٣ ص ٣١ - ٣٤.

(٤) الإحاطة : ح ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٥) في إعلام النساء : ح ٥ ص ١٦٩. (ذبيحة).

* في إعلام النساء : ح ٥ ص ١٦٩. (يا شيخٍ سوءٍ تناقضت - وأي خيرٍ للمرأة مثل ما ذكرت).

(٦) الإحاطة : ح ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٧) الإحاطة: ح ١ ص ٤٤٣ - نزهة الجلساء: ص ٩٨. النفح : ح ٦ م ٣ ص ٣١.

على وَجْه نزهونٍ من الحُسْنِ مِسْحَةً وإن كَانَ قَدْ أَمْسَى من الضوءِ عارياً^(١)
قواصِدُ نزهونٍ توارِكُ غيرها ومن قَصَدَ البحرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقِيا

فأجابته بسرعة حاضرة ، جواباً انتقمت لهوانها وخضوعها بشعر أكثر بذاءة
وأشد خشونة . سنذكره في مبحث "الهجاء من شعر النساء" ونكتفي بذكر بيتين
للاستشهاد على ما ذكرناه: قالت^(٢):- [المجتث]

جازيتُ شعراً بشعري فقل لعمرى من أشعري
إن كنتُ في الخلق أنثى فإن شعري مُذكر

ولقد وجدنا في نفع الطيب^(٣) أبياتاً مغايرة لهذه الأبيات وربما ردت عليه في
هجاء له فيها في موطن آخر. أو في مجلس غير هذا المجلس. أو قد يكون إختلافه
الرواة عليها. وبعد أن فرغت من إنشادها. لم يسكت المخزومي عن هزيمته وفشله ،
فقال لها: اسمعي^(٤) : فَرَدَّ عليها بنظمٍ أفحشٍ ما يمكن وأن تُسمِعَهُ امرأة نكتفي بذكر
بيتٍ واحد منه^(٥):- [المقارب]

(١) في النفع : جـ ٦ م ٣ ص ٣١ ، عجز آخر (وتحت الثياب العار لو كان بادياً) وقد جاء في هامش
نزهة الجلساء : ص ٩٨ ، ونفع الطيب: جـ ٦ م ٣ ص ٣١ - انتحال.
أ- البيت الأول بأكثر ألفاظه من قول ذي الرمة، ويقال: بل هو قول كنزة أم ذي الرمة: على
وجه مَيِّ مَسْحَةٍ من مَلَاحَةٍ

وتَحْتِ ثِيَابِ العارِ لو كان بادياً

ب- وقد أخذ البيت الثاني بأكثر ألفاظه من قول المتبني يمدح كافور الأخشيدي:
قواصِدِ كافورٍ، توارِكُ غَيْرِهِ ومن قَصَدَ البحرَ اسْتَقَلَّ السَّوَابِقِيا

(٢) الإحاطة : جـ ١ ص ٤٣٤ .

(٣) نفع الطيب: جـ ٦ م ٣ ص ٣١ - ٣٢ .

(٤) الإحاطة في أخبار غرناطة: جـ ١ ص ٤٣٤ . أعلام النساء : جـ ٥ ص ١٦٩ .

(٥) المصدر نفسه: جـ ١ ص ٤٣٥ .

ألا قل لنزهونة ما لها

تجرُّ من التيه أنيالها

فأقسَم أبو بكر بن سعيد ألا يزيد أحدهما على الآخر في هجوه كلمة. وطلب أن يكفا عن السباب والقدح. (فقال المخزومي: - أكون هجاء الأندلس ... وأكف عنها دون شيء) (١)

قال : - أنا أشتري منك عرضها، ويطلب المخزومي الغلام الذي قاده إلى المنتدى ثمنا لذلك. على ما يبدو أن الشاعر ونزهون قد أصلحا حالهما فيما بعد. إلا أن هذه المواقف تعطينا صورة واضحة لمجالسهم الأدبية. وما كان يدور فيها من مساجلات. وإذا كان المخزومي ماجناً^(٢). وعد من هجائي الأندلس، فقد (لا يفوت مجونه مجون نزهون) (٣)، (لما اقتضاه العصر من مثل ذلك) (٤)، من مهاترات.

وصل إلينا من شعرها عشرون بيتاً ، ثلاثة منها في وصف ليالي الأناضول واللقاء. وبيتان في الرد على عتاب أبي بكر بن سعيد ، وخمسة عشر بيتاً في غرض الهجاء. وأي هجاء الذي نَمَّ عن لا أخلاقية وتهتك للأعراض وإبتذال في الأقوال. وفحش وإنحلال وذكر عورات وقاذورات. أمّا الموشحة التي أشرنا لها فقد كانت في موضوع الغزل نذكرُ منها المقطع الأول^(٥) فقط، ونكملها في الغزل من شعر النساء.

طرَّفه الأحور
ويح من غرر
تاه واسـتـكـبر

بأبي من هدم جسمي والقوى
وسقاني ما سقى يوم النوى
كلما رمت خضوعاً في الهوى

(١) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة : ج ١ ص ٤٣٥.

(٣) انظر مجلة علوم إسلامية : ص ٣ عدد ١ سنة ١٩٦٠.

(٤) نفع الطيب: ج ٣ ص ٣٣٩.

(٥) مجلة علوم إسلامية : ص ٥ عدد ١ سنة ١٩٦٠ نقلا عن المخطوطة الوحيدة التي عند الأستاذ .

رَهْنِ أَشْجَانِ
عِنْدَ رِضْوَانِ

يَا لَهُ مِنْ شَادِنِ صَيِّرِنِي
لَمْ يَدْعُ فِي الْحَوْرِ مِنْهُ عَوْضًا

لقد عُرِفَتْ نزهونَ بِكثرةِ مُخالطتها للرجالِ ومهاتراتها معهم ومما يُؤثر عن لقاءاتها بهم. فقد سجّل لها التاريخُ نوادرَ تَمَسُّ الكرامة. ومن نوادرها قولها للشاعر ابن قزمان المتوفى سنة (٥٠٨هـ) بعد ارتجالِ بديع^(١)، (وكان قبيح المنظر)^(٢) (أشقرَ أزرَقَ كبيرَ البطنِ)^(٣) (يَلْبَسُ غفارةَ صفراءَ)^(٤) على زيِّ الفقهاء^(٥).

وتمضي في الدعابة والفكاهة، فتتطق بحقه قائلة:

(أحسنت يا بقرة بني إسرائيل، إلا أنك لا تسرُّ الناظرين)^(٦) فضحك

الحضورُ منه^(٧)، وغضب وثار ابن قزمان فقال لها:-

(إن لم أسرِّ الناظرين، فأنا أسرُّ السامعين، وإنما يُطلبُ سرورُ الناظرين منك

يا...)^(٨) وتمكّن السكرُ منه وتدافعوا معه حتى رموه في البركة، ولم يخرج منها إلا وقد شربَ ماءً كثيراً وثيابه تهطل، فقال: إسمع يا وزير. وأنشد أبياتاً وصفَ نزهونَ

(١) النفع: حـ ٦ م ٣ ص ٣٢.

(٢) المغرب: حـ ٢ ص ١٢١.

(٣) نزهة الجلساء: ص ٩٩.

(٤) المغرب: حـ ٢ ص ١٢١.

(٥) النفع: حـ ٦ م ٣ ص ٣٢.

(٦) المصدر السابق: والصفحة نفسها.

تُشير إلى الآية الكريمة: التي رقمها (٦٩) وردت في سورة البقرة (قالوا أدع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسرُّ الناظرين). وانظر المغرب: حـ ٢ ص ١٢١ جاءت (كلمة أصبت بدلاً من أحسنت).

(٧) المرأة العربية: حـ ٣ ص ١٣٤.

(٨) النفع: حـ ٦ م ٣ ص ٣٢.

* ابن قزمان: شاعر من شعراء الأندلس، وفيما ذكر عنه في القلائد: ص ٢١٣-٢١٤ (شاعر مبرز في البيان وزير كاتب. طاهر الأثواب من كل دنس إلا أن الزمان غدر به وأساء). جاء ذكره في الصلة: حـ ٢ ص ٥٤٠ ط. (١٩٥٥) وترجم له في الاعلام: حـ ٧ ص ١٢٧. توفي (٥٠٧هـ)، أخره الشاعر الزجاجال محمد بن عيسى (ت ٥٥٥هـ).

فيها بابشع الألفاظ، وخرّوجها عن حدّ الآداب لأنهم تَقصدوا في هَتَكِ سِتْرها مما دَعاهَا أَنْ تَهْتَكِ سِتْرهم، فبدت في مجالسهم ذات قلب كبير عند اشتداد العواصف ، وصفحة من صفحات البلاغة العربية بفظنتها وفصاحتها، وكانت جريئة في قولها وقد رفعت الحياء . بالوقت الذي (ينبغي للمرأة إن يكون فيها الحياء) (١) . وجازفت في أحاديثها (٢) الممزوجة بالظرف ، وبحضور جواب وسرعة بديهة... فكانت تقرأ على أبي بكر المخزومي الأعمى، فدخل عليها أبو بكر الكندي (٣) الشاعر الغرناطي وأراد أن يداعبه شعراً، ويخبره بجمال نزهون ، فتنة للناظرين وإن نعمة البصر حرمته من تلك المتعة فقال (٤):-

(لو كُنْتُ تَبْصِرُ من تَكلمة).

فلاذَّ الضريرُ بالصمتِ ولم يجدْ جواباً، ولم يستطع القول. فسارعت هي إتمامه فأجابت : (لغدوت أخرس من خلّله) . وأضافت إليه بيتاً آخر، سنذكره في غرض الفخر من شعر النساء.

واشتهرت بكثرة مخالطتها ومناظرتها للشعراء وقد ألمح الوزير أبو بكر سعيد إلى كثرة زوارها وعشاقها بعد أن أفلقتة الغيرة عليها فكتب إليها قائلاً (٥):-

[المجتث]

يا مَنْ لَهُ أَلْفُ خِلٍّ من عَاشِقِي وَصَنَدِيقِي
أراكِ خَلَيْتَ لِلنَّاسِ سِ مَنْزِلًا فِي الطَّرِيقِ

(١) انظر العباس بن نور الدين الموسوي المكي: نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيب: حـ ١ ص ٥٦٦. المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف/ ١٩٦٧م.

(٢) انظر ما دار بينها وبين أبي بكر المخزومي الأعمى في الإحاطة: حـ ١ ص ٤٣٤.

(٣) لقد ورد في هامش النفع: حـ ٦ م ٣ ص ٣٢ (الكندي) والدر المنثور: ص ٥١٩.

(٤) الكندي : ولعله محمد بن عبد الرحمن، الشاعر الغرناطي المشهور.

(٥) المغرب: حـ ٢ ص ١٢١. نفع الطيب: حـ ٦ م ٣ ص ٣١. وانظر أعلام النساء: حـ ٥ ص ١٦٨.

فأجابته ببيتين تذوب عذوبة وتتمّ عن مكانته المميّزة في قلبها إذ قالت^(١):

[الطويل]

حَلَّتْ أبا بكرٍ مَحَلًّا مَنَعْتُهُ سِوَاكَ، وَهَلْ غَيْرُ الْحَبِيبِ لَهْ صَدْرِي
وَإِنْ كَانَ لِي كَمَ مِنْ حَبِيبٍ فَإِنَّمَا يَقْدَمُ، أَهْلُ الْحَقِّ فَضْلَ أَبِي بَكْرٍ

إن هذه الشاعرة الوشّاحة الصادحة السريعة البديهة التي فاقت الشعراء الكبار في مرّ هجائها وحُضورِ ذهنها نراها قد خَلَعَتْ عليها حَلَّةً من قبيح القول في الندوات الصاخبة بالعَبَثِ والمَجُونِ التي أقامتها في غِرناطة، تلك المرأة التي امتازت بالجمال الفائق وحِفظِ الشعرِ والأمثالِ وصنَعِ الموشحاتِ . واستطاعت إجازة عجز بيت على حين عجز عنه (بشار الأندلس، أبو بكر المخزومي). واستظرفها وزراء زمانها وأولعوا بها وبمحاضرتها الشعراء. لقد ورطوها فيمن أساء سُمعتها وضرَّ بمصلحتها. بأساليب وألفاظٍ سبَّبت لها، قَلَقًا، وشقاءً نفسيًّا، واجتماعيًّا. على الرَغم من أنّها ملكتُ حرية التعبير عن تفكيرها لكنها أغفلت أن كرامة المرأة مرتبطة بحريتها في تعبيرها، فأطلقت العنان لِنفسها مع الرجال في المُنتديات الشعرية معتقدة بتعظيم نفسها في الردّ على الرجال بأفحش الألفاظ لأنّها ما كانت ترضى بالهوان.

(١) نفع الطيب: ج ٦ م ٣ ص ٣١.

(٩) ولادة بنت المستكفي بالله (١) :-

آلينا أن نضع الأميرة ولادة آخر المطاف لكي نلّم بنساء عصرها وأحوالهن، وظروفهن وما دار في مجالسهن، ونحيط علماً بمنابع ثقافتهن وسيرهن وتعامل الرواة والمؤرخين معهن، لكي لا تكون أحكامنا جائزة أو سطحية بحق هذه الشاعرة التي كثيراً ما تعرضت شخصيتها للدراسة والبحث وتناولتها أيدي النقاد والباحثين. هذه هي ولادة بنت محمد (٢) بن عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر (٣) بن عبد الرحمن بن

(١) وردت أخبارها وأشعارها في ديوان ابن زيدون: طبعة علي عبد العظيم وط كامل الكيلاتي وخليفة. وط. نديم مرعشلي. فضائل الأندلس وأهلها: ص ٤٧. قلائد العقيان: ص ٨٢-٨٤-٩١-٩٢. الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩-٤٣٢. المصدر نفسه ٤٣٣ أخبار والدها. بغية الملتصق: ص ٥٣١-٥٣٢ ترجمة ١٥٩٥ ط. مدريد وطبعة أخرى: ص ٥٧١. الصلة: ص ٢-٦٩٦. المطرب من أشعار أهل المغرب: ص ٧-١٠. قوات الوفيات: ص ٤ ص ٢٥١. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: ص ٤-١٠-١٣. نزهة الجلساء: ص ١٠١-١٠٤. نفع الطيب: ص ٣ م ٣٣٦-٣٤٢. الدر المنثور: ص ٥٤٥-٥٤٩. إعلام النساء: ص ٨٧. الاعلام: ص ٨ ص ١١٨. المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها: ص ٣ ص ١٣٠. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام: ص ٢٤٣-٢٤٥. هنري بيريس: الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٣٩٩-٤٢٨-٤٢٩. منشورات معهد الدراسات الشرقية - كلية الآداب بالجزائر. المرأة في حضارة العرب والعرب في تاريخ المرأة: ص ٢٤٣-٢٤٤-٢٤٥. النساء العربيات: ص ١٨-١٩. دولة الإسلام: ص ٥٥. اشبيلية في القرن الخامس الهجري: ص ١٧٥-١٨٠. بطرس البستاني: أدياء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث: ص ١١٥-١٢١. ط الرابعة دار صادر بيروت. ملاح الشعر الأندلس: ص ١٣٥. د. صلاح الدين المنجد: معجم بني أمية: ص ٢١٧. هناء دويدري: ثقافة المرأة الأندلسي: ص ٥٧-٦٤. المستشرق الألماني فيلهم هوينرباخ: مجلة الأندلس، مجلد سنة ١٩٧١ ص ٤٦٧-٤٧٣. عبد الرازق الهلالي: ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون، بحث قدمه بمناسبة الاحتفال بالذكرى الألفية لميلاد ابن زيدون- الذي اقيم بالرباط سنة ١٩٧٥. ط المعارف بغداد- ١٩٧٦.

مجلة الكتاب: عدد خاص بمناسبة الذكرى الألفية لوفاة ابن زيدون - يصدرها اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين - مطبعة دار الحرية - ١٩٧٥.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٢٩ تحقيق علي عبد العظيم. ورد اسمها في قلائد العقيان: ص ٨٢-٨٤-٩١-٩٢. (ولادة بنت المهدي. الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٣. قوات الوفيات: ص ٢-٥١.

(٣) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٣ (الناصر).

محمد (١) المرواني (٢) سَمِيَ والدهما نَفْسَهُ المستكفي بالله بعد بَيْعَتَهُ سنةً أربَع عَشْرَةَ وأربعمائة (٣). وَلَمْ يَدَمْ (٤) حُكْمَهُ إِلَّا سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا صِعَابًا نَكَدَات (٥). وقد أجمعتُ المصادرُ التاريخيةُ التي أرخَتْ حَيَاتَهُ بأنه سَقِيمُ السَّرِّ والعَلَانِيَةِ. أما ابن حيان المتوفى سنة (٤٦٩هـ) فقال عنه كان (مجبولاً على الجهالةِ . عاطلاً من كلِّ خِلةٍ تدلُّ على فضيلةٍ) (٦) ويراه المقرئ (ت ١٠٤١هـ) (خاملاً ساقطاً) (٧). فيبدو أنه كان ضعيفَ الرأي مشهوراً بالتخلفِ والانغماسِ في ملاذِهِ.

أما ولادةُ فلعلها إبنةُ سكرى الموروريةِ ، وهي أمةٌ (مسيحيةٌ حبشيةٌ) (٨). قيل إنها (إمرأةٌ خبيثةٌ) (٩). والحبشيةُ هذه أنجبت بنتاً شهَدَ لها الرجالُ بالسِحْرِ والحلاوةِ. وبدت خلافاً لذويها. فكانت كما وصفتها الأشعار (١٠)، وكتب التراجم (١١). والأدب

(١) بغية الملتبس : ص ٥٧١. الصلة: ح ٢ ص ٦٩٦. نزمة الجساء: ص ١٠١. النفح : ح ٦ م ٣ ص ٣٣٦.

(٢) الصلة : ح ٢ ص ٦٩٦ . المطرب: ص ٧-٨.

(٣) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٣٣ . النفح: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٩.

(٤) الصلة : ح ٢ ص ٢٦-٢٧- كانت (أمه أم ولد اسمها حوراء). ولم يدم حكمه إلا ستة عشر شهراً وأياماً. انظر ترجمته في الأعلام: ح ٧ ص ٦٣-٦٤. وقيل عنه كان في غاية الصنعة والسقوط.

(٥) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٤٧.

(٦) المصدر السابق نفسه: والصفحة ٤٣٤. البيان المغرب: ح ٣ ص ١٤١ وإعلام الأعلام : ص ١٣٦.

(٧) النفح: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٨.

(٨) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٣٣. ديوان ابن زيدون: ص ٢٩. علي عبد العظيم.

(٩) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٣.

(١٠) انظر ديوان ابن زيدون: ص ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٢.

(١١) قلاند العقيان: ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ٩٢. الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٢ . المطرب: ص ٧ - ١٠. فوات الوفيات: ح ٤ ص ٢٥١.

(واحدةً زمانها المشارُ إليها في أوانها)^(١) ناهيك عن جمالها ، ومَشَقِّ قَوامِها. ورشاقَةً ظباها. وفتنةً نظراتها، ولين عطاها.

لقد وصفها ابن زيدون المتوفي (٤٦٣هـ) وصفاً دقيقاً أيام شبابها وأيده ابن بسام المتوفي (٥٤٢هـ) بقوله كانت (واحدة أقرانها)^(٢) فكانت طويلة القامة والعنق، بارزة الصدر دقيقة الخصر، ممثلة الردف، عيناها حوراوان وأهدابها وطف. بدت أنيقة في ثوبها المخطط الحريري الموشي بالخز... يقول^(٣): [الطويل]

وفي السَّيراءِ^(٤) الرَّقْمُ وسط قبايهم بعيدُ مناطِ القُرطِ أحورُ أوطفُ
تباين^(٥) خلقاه، فقبَلُ مُنعمٌ تأوَدَ في أعلاه لَدُنْ مُهفُفُ

وكانت ولادةً صافيةً البشرة بيضاء كالفضة. شعرها ذهبيُّ براقٌ كالنَّبرِ. وتزِين صدرها بعقود اللؤلؤ المزدوجة. والخلخيل وهي سليلة بيت ملكي تغمرها النعمة والرفاه وفيها قال^(٦) صاحبها: - [البسيط]

أو صاعَةٌ ورقاً مَحْضاً وتَوَجَّهَ من ناصع التَّبرِ إيداعاً وتَحْسِيناً

(١) الدر المنثور: ص ٥٤٥.

(٢) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩، النفع: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٦.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٤٨١ - ٤٨٢ تحقيق علي عبد العظيم.

(٤) المبيراء: نوع من الثياب فيه خطوط صفر أو يخالطه الحرير أو الذهب الخالص. الرقم: الخزر أو ضرب مخطط من الوش. مناط الشيء: مكان تعليقه أوطف: طويل أهداب العينين. والمعنى في الحلل المذهبة الموشاة بين قبايهم يميز حبيب لي كالغزال طويل الجيد أحور العينين طويل الاهداب.

(٥) تباين: اختلف وتباعد، عيل: ضخم (الردف)، تأود: انعطف وتمائل، لندن: طرى، مهفف ومهفف: ظاهر البطن، والمعنى اختلف أعضاء جسمه في الصفات، فهو ضخم الردف ضامر الخصر مشقوق القوام.

(٦) ديوان ابن زيدون: ص ١٤٤ - ١٤٥.

الورق: الدراهم الفضية. والمعنى أنه أبيض الوجه ذهبي الشعر. تأود: تمائل، أدته: أثقلته، تؤم العقود: عقود مزدوجة من اللؤلؤ، البرى: الخلاخيل، جمع برة، والمعنى إذا تمائل لم يطق حمل الحلي الكثيرة لرقته ولينه.

إِذَا تَأَوَّدَ آذَانُهُ رِفَاهِيَّةً تَوَّمَّ الْعُقُودِ ، وَأَدْمَتَهُ الْبُرَى لِينَا

وكان لها (خال أسود) في خدِّها أضافَ لها حسناً آخر. يقول^(١): - [السريع]

مُفَضِّضُ الثَّغْرِ لَهُ نَقْطَةٌ مِنْ عَبْرٍ فِي خَدِّهِ الْمَذْهَبِ

يقول^(٢) في قوامها الممشوق، وخطاها الرشيق. ونظراتها الفاتنة: - [البسيط]

يَا أَلَيْنَ النَّاسِ أَعْطَافًا ، وَأَفْتَنَهُمْ لَحْظًا ، وَأَعْطَرَ أَنْفَاسًا وَأَرْدَانَا

وكانت تجمع إلى جمال الخلقة جمال التزين وعذوبة الحديث فهي فنانة في

إظهار مواطن الحسن فيها، فكانت عذبة الخلال ظريفة الخصال، يقول ابن زيدون^(٣):

[الطويل]

لَهُ خُلُقٌ عَذْبٌ وَخَلْقٌ مَحْسَنٌ وَظُرْفٌ كَعُرْفِ الطَّيِّبِ أَوْ نَشْوَةِ الْخَمْرِ

يُعَلِّلُ نَفْسًا مِنْ حَدِيثٍ تَلَذَّهُ كَمَمَلِ الْمَنَى وَالْوَصْلِ فِي عَقْبِ الْهَجْرِ

لقد حفل ديوان ابن زيدون بصورها، ووصف هيامه فيها لجمالها وحسن

حديثها، وأدبها، وربما لتربيتها التي عني بها والدها على عادة الملوك والوزراء.

وكانت أنيقة في مظهرها لبقة في تصرفاتها .. شبت على مستوى عالٍ من المعرفة.

وكان لجمالها الساحر، وذكاؤها النادر، وفتنتها للشعر وتذوقها له، وإجادتها الغناء^(٤)

والضرب على الآلات الموسيقية أثر كبير لامتلاك قلوب الرجال^(٥) ولا ننسى قوة

شاعريتها ومن أخبارها ما قاله الفتح بن خاقان المتوفي سنة (٥٢٩هـ) (وكانت في

(١) الديوان : ص ٣٢.

(٢) الديوان: ص ١٧٩.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ١٢٣.

(٤) نفع الطيب: ح ٣ ص ٣٣٩.

(٥) ابن نباتة المصري: سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ص ٢٢. وانظر الشعر الأندلسي

في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٤٠٠.

الأدب والظرف، وتتميم المسمع والظرف بحيث تختلس القلوب والألباب وتعيذُ الشيبَ إلى أخلاق الشباب^(١). فكان لها شاعريةٌ لا تختلف عن كثير من فحول الرجال الذين جرى حديثهم على الأفواه أعذبَ من حلوِ الشهدِ والمياه. (وفاقت البرعاء)^(٢) (وكان مجلسها بقرطبة منتدى لا حرار المصّر)^(٣) وكان لا يغشاه إلا الجهابذة، ولا يتردد عليها إلا أكابر الأساتذة، وهي صورة واضحة لتقافة المرأة وفكرها وأدبها وحسن بيانها، وبلاغة منطقها من أحسن الصور وأروعها والذي برزت فيه ولادة (أكثر درية وذكاء)^(٤). واثبتت قدرة ومهارة ودهاء. وقال فيها ابن بسام المتوفي (٥٤٢هـ) (وأما نكاءُ خاطرِها. وحرارة نوادرها فأيةٌ من آيات فاطرها)^(٥). ومنهم من وصف (نبايتها وفصاحتها وحرارة نادرته، وجزالة منطقها)^(٦). لقد أثنى الفضلاء على فضلها)^(٧) حيث كانت (شارعة جزلة القول ، حسنة الشعر فاقت البرعاء)^(٨) قد يكون ذلك (المخالطتها للشعراء ومساجلتها الأدباء)^(٩) ولها معهم أخبار... ولها مع أبي الوليد أحمد بن زيدون المتوفي سنة (٤٦٣هـ) (أخبارٌ طوالٌ وقصار ، يفوت إحصاؤها ويشقُّ استقصاؤها)^(١٠). وذكر الفتح بن خافان المتوفي (٥٢٩هـ) إنه (كان يكلف بولادة ويستضيء بنور تخيلها في الليل البهيم)^(١١). وفيها خلع عذاره^(١٢)

(١) قلاند العقيان ص ٨٢.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص ٧ - ٨. النفع: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٩.

(٣) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩.

(٤) الصلة: ح ٢ ص ٦٩٦. أشبيلية في القرن الخامس الهجري: ص ١٧٦.

(٥) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٢.

(٦) الصلة: ح ٢ ص ٦٩٦.

(٧) بغية الملتئم: ص ٥٧١.

(٨) الصلة: ح ٢ ص ٦٩٦. نزهة الجلساء: ص ١٠٣.

(٩) نزهة الجلساء: ص ١٠٣. د. صلاح الدين المنجد: معجم بني أمية: ص ٢١٧.

(١٠) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٠.

(١١) قلاند العقيان: ص ٨٢.

(١٢) فوات الوفيات: ح ٤ ص ٢٠١. النفع: ح ٥ م ٣ ص ٣٦٦.

وهام بها كل هيام. وارسل^(١) أجمل الأشعار وأرقها، ومن قصائده الخالدة، قصيدته
القافية التي أرسلها إلى حبيبته والتي مطلعها^(٢):

إني ذكرتُك بـ(الزَّهراء) مُشتاقاً

والأفقُ طلقُ، ومرأى الأرضِ قد راقا

والقصيدة الثانية التي نالت شهرة عظيمة، وثارت حولها الأساطير حتى قيل:
(ما حفظها أحد إلا مات غريباً، ولهج كثيرون بأن إنساناً لا يتم له الظرف مالم
يحفظها)^(٣) وهي:-

أضحى التناهي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لُقيانا تجافينا

فجرت ولادة طاقة الشعر الكبرى وأشعلت جذوة الصبابة المحرقة في نفسه
وروحه وقال فيها ما قال من رائع القصيد. وربما نتسنتج من كل ذلك، أن دور المرأة
في بعث شعر الغزل والحث على القول كان عظيماً، فسُجل لولادة هذا الدور المميز،

(١) انظر ترجمة ابن زيدون في ديوانه: ص ٢١ - ٤٧ علي عبد العظيم.

القلائد: ص ٧٩ - ٩٣. الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٣٣٦ - ٤٢٨.

ابن زيدون: أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون المخزومي أبو الوليد، قال ابن
بشكوال ولد سنة ٣٧٤هـ - وتوفي سنة ٤٣٣هـ، إلا أنه اتفق أكثر المؤرخين في تثبيت وفاته
سنة ٤٦٣هـ. وقال فيه صاحب جذوة المقتبس: ح ٤ ص ٢٠٥، شاعر مقدم، وبليغ مجود
كثير الشعر، قبيح الهجاء. وقال فيه ابن بسام: كان صاحب منثور ومنظوم، وفاتحة شعراء
مخزوم. وقال عنه ابن بشكوال (حافظاً للقرآن العظيم مجوداً لحروفه كثير التلاوة له. وكان
معتنياً بسماع العلم من الشيوخ وروايته عنهم).

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ١٣٩ - ١٤٠. تمام المتون: ص ١٣.

(٣) المصدر نفسه: والصفحة: ١٤١. تمام المتون: ص ١٢.

وكان لها الصدارة فيه. ولا يغرب عن بالنا دورها الثقافي الذي اطلعنا عليه في (ملازمتها لتأديب مهجة القرطبية) ^(١) ورعايتها وتعددها لها.

وقيل إنها أجزت في الاقتاء والتدريس ^(٢). وكانت (حسنة المحاضرة مشكورة المذاكرة) ^(٣). ويقول لسان الدين بن الخطيب المتوفي سنة (٧٧٦هـ)، ما معناه، بأن النساء (قَلَدْنَ ولآدَة في محاسنها) ^(٤). إن هذه الرائدة الفذة أصبحت في شخصيتها قذوة حسنة للنساء لذا قَلَدْنَهَا. وكانت (أشهرن) ^(٥) وأشعرهن ^(٦) وأجملهن ^(٧)، لذا (هذى باسمها، وتصرف على حكمها) ^(٨). الرجال فشعرها كان يلقي ترحيباً وتشجيعاً من الوزراء والأدباء الذين يفدون على منتداها. ولم يكن ابن زيدون وحده فارس هذا الميدان، وإنما كان ابن القلاس ^(٩). وأبو عامر بن عبدوس ^(١٠) الوزير المتوفي سنة (٤٧٢هـ) الذي كان أحد أعيان قرطبة ^(١١) المشهورين فراحوا يتنافسون على قلبها ولم يحض به إلا ابن زيدون، لأنَّ جَلَّ أشعارها وَرَدَتْ فيه، وقد أبلغ ابن زيدون أن أبا عبد الله محمد البطلبيوس المتوفي سنة (٤٩٠هـ) اتصل بولادة فكتب

(١) المغرب: ج١ ص ١٤٣. نزهة الجلساء: ص ٩٣. النفح: ج ٦ م ٣ ص ٢٨. وانظر ثقافة المرأة الأندلسية: ص ٥٦ - ٦٣.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٢٨ تحقيق نديم مرعشلي.

(٣) النفح: ج ٥ م ٣ ص ٣٣٦. فوات الوفيات: ج ٤ ص ٢٥١.

(٤) الإحاطة: ج ١ ص ٤٣٨.

(٥) النفح: ج ٥ م ٣ ص ٣٣٦.

(٦) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩، معجم بني أمية: ص ٢١٧. النفح: ج ٥ ص ٣٣٩.

(٧) النفح: ج ٥ م ٣ ص ٣٣٩.

(٨) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٢.

(٩) ديوان ابن زيدون: ص ٣٢ - نديم مرعشلي.

(١٠) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣١.

(١١) المصدر نفسه. والصفحة نفسها.

إليه قصيدة طويلة، وكان يكنى بأبي عبد الإله. نكتفي بذكر مطلعها: - [مجزوء
الوافر]

أبا^(١) عبد الإله اسمع
واقصر بعدها أوزد
وخذ بمقالتني أودع
وطر في إثرها أوقع

على ما يبدو أن سبب شهرتها وامتيازها على غيرها من شاعرات الأندلس -
لما قاله فيها من رائع^(٢) القصيدة - فاستأثرت من دونهن بمزيد من الإهتمام من
مؤرخي الأدب وناقديه وأصحاب الرواية والأخبار القدامى ، كذلك انفردت ولادة في
بحوث^(٣) ومقالات^(٤) المحدثين. وكثيراً ما تعرضت شخصيتها للدرس والتحليل من
المستشرقين الأجانب والعرب الباحثين. إلا أن جلّ التهم التي لحقت بها في الدراسات
الحديثة أطلقها الباحثون دون دراسة لظروف العصر وميزاته. كما أنهم ابتعدوا عن
الظروف التي أحاطت بالمرأة، وما وصلت إليه من رقي عقلي وثقافي متنوع
المشارب تشرب له الأعناق، ولم يحط أحدهم علماً بطريقة تربيتها واناقتها التي فاقت
فرنسا في العصر الحديث^(٥) فجاءت أحكامهم بعيدة عن واقع المرأة.

فقد خرج الأستاذ علي عبد العظيم برأي هو أن ولادة (مصابة) بـ(السادية
Sadism) فقال ما نصه: (ولكننا نستطيع أن نجد تعليلاً مقنعاً لجميع تصرفاتها، هذا
التعليل هو أنها مصابة بالسادية)^(٦) وهو حب إيقاع التعذيب على الجنس الآخر.. وقد

(١) تمام المتون: ص ١٢. ديوان ابن زيدون: ص ٥٧٨ ورد في الديوان:

اصغ لمقالتني واسمع وخذ - فيما ترى - أودع.

(٢) انظر ديوان ابن زيدون . القصائد التي قيلت في ولادة.

(٣) انظر بحث الدكتور عبد الرزاق الهلالي. وبحث لسلمي الحفار. بحث لأبي القاسم محمد كزوّ
تحت عنوان شوقي وابن زيدون في نوبتيهما.

(٤) مقال نشر في مجلة الكتاب في الذكرى الألفية لوفاة ابن زيدون للدكتور محسن جمال الدين، لم
نعثر عليه.

(٥) انظر المبحث السابق (جمال المرأة وزينتها).

(٦) ديوان ابن زيدون: ص ٣٨. تحقيق علي عبد العظيم.

رد الأستاذ^(١) عبد الرزاق الهلالي مدحياً رأيه قائلاً: والذي نراه، أن هذا الرأي ، غير مقنع ، ذلك لأن المصابين بالسادية لا يقتصرُ حُبُّهم على إيقاع التعذيب على الآخرين، في كل زمان ومكان بل الذي ندره، أن (السادية) كلمة مشتقة من اسم (الماركيز ده ساد) الذي كان يمارس التعذيب وقت ممارسة الحب مع خليلته. فقد قيل إنه كان يعذب خليلته عذاباً شديداً ويجد لذة فائقة وهو يراها تتعذب ذلك العذاب الشديد^(٢)، ولذا يمكننا الاقتناع بهذا التعليل. ما لم يثبت بالدليل القاطع أن (ولادة) كانت تعذب عشاقها أثناء ممارستها الحب معهم. فأين هو هذا الدليل؟! لقد رفع عنها الهلالي مرض السادية الذي ألحقه بها علي عبد العظيم ، ليوقعها بمرض أخطر . والعن منه هو الهستيريا، والشذوذ (Homosexuality) كان هذا عنواناً لفصله (ولادة بين الهستيريا والشذوذ الجنسي). نشره ضمن بحث له تحت عنوان (ولادة وابن زيدون) عام ١٩٤٧، وقد علّل الباحث إصابتها بالهستيريا لأنه وجد على حد تعييده تقارباً بين ما قاله الدكتور أوگست^(٣) فوريل في كتابه (الإحراق الجنسي) ما نصه: - (إنّ للمصابين بالهستيريا، من الرجال والنساء حياة تناسلية غريبة، والهستيريا مرض يتوقف على الإحراق الذاتي، أو على النفور المرضي للنشاط النفسي، وينتج من هذا، أن خيال المريض قد يدفعه إلى آراء وأعمال متناقضة كل التناقض. فالحب والكرهية من العواطف التي كثيراً ما تتعاقب في شعور المريض.. فلقد يلهب الحب، امرأة مصابة، بالهستيريا، فتبدي ظواهر شهوانية عجيبة وتدفع إلى الإفراط في العلاقات الجنسية مع الرجل الذي تحبه اندفاعاً عجبياً ، بينما قد تشعر بالاشمئزاز والنفور أو عدم الاكتراث ، إزاء شخص ما، فتصبح عواطفها باردة غاية

(١) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون : ص ٢٥.

• (يطلق اسم السادية على لون من الشذوذ الجنسي ترتبط اللذة بالعنف وذلك نسبة إلى (الماركيز دي صاد) الذي كان مولعاً بذلك في كتاباته وحياته الشخصية) الجنس في الأدب العالمي. الدكتور صلاح عدس. القاهرة. نقلاً عن المصدر السابق، والصفحة نفسها.

(٢) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص ٦٠.

(٣) المصدر نفسه : ص ٢١.

البرود) (١). وبيّن شخصية ولادة (في قلب أهوائها وعدم استقرارها على حال ، وسلوكها مع من أخلصوا لها بالحب، شبها كثيراً بالأوصاف التي عرضها الدكتور فوريل) (٢). والحقيقة يقال " لم يُعرف عن ولادة أنها متقلبة الأهواء وبعيدة الاستقرار على حال. أما إذا كان بخصوص علاقتها من ابن زيدون، فهناك جملة أسباب قد تشكل سبباً لنفورها منه. فيرى الكاتب الإسباني (بالنتينا) (٣) إن سبب ترك ولادة لابن زيدون هو حبه وميله إلى جاريتها عتبة بعد أن (سألها الإعادة، بغير أمر ولادة، فخبأ منها برق التبسم وبدا عارض التهجم) (٤). ويبدو أنها لتأجج وإشتعال نار الغيرة في قلبها، عاتبت عتبة (٥)، فقال ابن زيدون: (قَبَيْتَا عَلَى الْعِقَابِ، فِي غَيْرِ أَصْحَابٍ ، وَدَمَّ الْمُدَامِ مَسْفُوكٍ، وَمَأْخِذَ الْبَلْهِيِّ مَتْرُوكِ) (٦).. فوقع الجفاء بعد أن كشفت قلة الوفاء عند صاحبها، ولا ندري قد يكون ذلك لأسباب سياسية، فقد علق الدكتور جودت الركابي قائلاً (وقد يكون انضمام ابن زيدون لحركة الجهاورة قد ترك في نفسها أثراً سيئاً وهي بنت خليفة أموي فجاءت الغيرة تنكّي في نفسها شتى الوسواس) (٧) فتركته لسبب سياسي (٨).

ومما يؤكد هاجسنا أن الجفاء حصل لأسباب سياسي هو قوله (٩): - [الكامل]

(١) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص ٢١ - ٢٢.

(٢) المصدر نفسه: ص ٢٢.

(٣) انظر باقر سماكة: التجديد في الأدب الأندلسي: ص ١٣٩ نقلاً عن:

Angel Cenzalez palencia

Historia De La Literatura Arabigo And alaza.

p. ٦g - Barcelon a. ١٩٥٤.

(٤) النخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٣١.

(٥) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٧) جودت الركابي: في الأدب الأندلسي : ص ١٧١.

(٨) البيان المغرب : ح ٣ ص ٢٢٢.

(٩) ديوان ابن زيدون : ص ٣٢٥.

أُظْنِيَنَةً دَعَوَى الْبِرَاءَةَ شَأْنَهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلِمَ دُعِيْتِ حَبِيْبِيْنَ؟*

وقد لَمَحَ ابن زيدون في بعض أبياته الشعرية بأن ولادة تنتمي إلى جماعة أعدائه ، قائلاً^(١):- [الكامل]

سَأْحَبُ أَعْدَائِي لِأَنَّكَ مِنْهُمْ يَا مَنْ يَصِحُّ بِمَقْلَتَيْهِ وَيُسْقِمُ

وقوله^(٢):- [المتقارب]

وما باختيارِي تسلِيْتُ عَنْكَ وَلَكِنِّي مُكْرَهُ لَا بَطْلُ

وقد يكون نفور ولادة من ابن زيدون لأسباب تقنية فقد أورد المقرئ^(٣) قوله : (وكتبَ في أثناءِ كلامِ بعد الشعرِ: (وكنْتِ ربما حشْتِنِي على أَنْ أَنْبُهَكَ على ما أَجْدُ فيه عليكِ نقداً، وإنيَّ انتقدتُ عليكِ قولك: (سقى الله أرضاً قد غدتْ لكِ منزِلاً).
فإنَّ ذا الرِّمَّةِ قد انتقدَ عليه قوله مع تقديم الدعاءِ بالسَّلَامَةِ: [الطويل]

أَلَا - يَا أَسْلَمِي - يَا دَارَ عِيٍّ على البلى

ولا زالَ منهلاً بجرعَاتِكِ القَطْرُ

* ظنينة: متهمة أيتها المتهمة بسفك دماء العاشقين مع أن مظهرك برئ وديع مثل الأطفال، لقد دعوناك حبيباً وكان الأولى أن نحشرك في زمرة الأعداء.

(١) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٣٧٤.

(٢) الديوان: ص ١٨٩. الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٥.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٧٨٣ - ٧٨٤. نوح الطيب: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٨. ذو الرمة:

غيلان بن عقبة بن نيس بن مسعود (من مضر) أبو الحارث ذو الرمة شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره، كان شديد القصر، دميماً، يضرب لونه إلى السواد ولد سنة ٧٧هـ - توفي - ١١٧هـ. انظر الأعلام: ح ٥ ص ٣١٩.

* لقد ذهبت زينب فواز سهواً عند ترجمتها لولادة معتقدة أن ولادة انتقدت ابن زيدون قوله والحقيقة عكس ذلك . انظر الدر المنثور: ص ٥٤٩ وقارنه بالنفح: ح ٥ م ٣ ص ٣٨٨.

إذ هذا أشبه بالدُّعاء على المحبوب من الدُّعاء له، قد يكون هذا النقد الموجه سبباً، لنفورها منه ، بعد أن عُرِف أنها أُجيزت بالإفتاء^(١) والتدريس. أو قد تكون كلُّ هذه الأسباب اجتمعت لديها وشكلت نفوراً من صاحبها الذي كشفت خيانتَه مع جاريتها السوداء. وهي الحرّة الجميلة وابنة الخليفة التي يشار إليها بالبنان سبباً رئيساً. ولنضع نصب أعيننا غريزة الغيرة الطبيعية عند المرأة ، وحرصها على من تحب دفعها لأن تتأثر لكرامتها المجروحة... علماً أن عبد الرزاق الهلالي بعد أن وصمها بالهستيريا قال (قد تكون على غير هذا النمط من السلوك)^(٢) لأنه يعلم أنه ليس لديه مبررات لذلك. فأبي هستيرية هذه ؟!! وأنه سبق افتراضه بالحرف (قد) حين قال (قد تكون ولادة متأثرة بالهستيريا)^(٣). الذي أفاد التقليل فيه.

أمّا فيما يخص باتهامها بـ الجنسية المثلية) فقد أشار الهلالي قائلاً: (ولا إخالني، متعسفاً، إذا ملّت إلى القول بأن ولادة كانت متأثرة، بالسلوك الجنسي الشاذ، لأنني استند في ذلك إلى ما يقدمه، علم النفس الحديث من دراسات علمية في هذا الحقل)^(٤). واستند على تفسير العالم النفسي (المستردبليو. جي ماكيرايد) في كتابه (مركب النقص) في تفسير السلوك الشاذ وذلك (بتقليد من الرجال في لباسهن وأحاديثهن وفي كثير من عاداتهن الأخرى، التي لا تتفق هي وطبيعتهن!). واتخذ قوله ذريعة في (أن ولادة، لم تتزوج، وإنما جعلت دارها نادياً يغشاه أكابر الرجال، وأنها قالت من الشعر، حسباً رواه التاريخ أحياناً، لم يجرؤ على قولها الرجال من الشعراء.. كما أنها لازمت تأديب (مهجة) القرطبية، بعد أن علقت بها^(٥).

(١) ديوان ابن زيدون: ص ٢٨، نديم مرعشلي. ص ٣٠. علي عبد العظيم.

(٢) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص ٢٢.

(٣) انظر المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٤) انظر المصدر نفسه: ص ٢٠.

(٥) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

ونرد على علماء النفس قائلين بأن ولادة لم تقلد الرجال في لباسها، بل على العكس (قلدها النساء) (١) في أنقتها ومحاسنها. بعد أن كتبت على ثوبها بالذهب الأبيات المشهورة (٢). كما أ، أشعار ابن زيدون التي قالها فيها تؤكد لنا أنها فتاة منعمة وأنيقة (٣).

ولم يذكر المؤرخون على أنها قلدت الرجال في أحاديثهم، اللهم إلا فيما يخص الألفاظ التي وردت في أشعار الهجاء، التي ورطت بها فسببت لها إساءة لسمعتها. وهذا ما تطلبه طبيعة مجالسهم واقتضته ظروفهم، فقد جاء في النفر نقلاً عن المغرب (وكان لها مجلس يغشاه أدباء قرطبة وطرفاؤها فيمر فيه النادر وانشاء الشعر كثير لى اقتضاه عصرها من مثل ذلك) (٤).

ولو ألقينا نظرة فاحصة على مجالس الوزراء وما كان يدور فيها من أحاديث بينهم وبين الشواعر الحرائر أمثال نزهون (٥) الغرناطية لعذرنا ولادة في ألفاظها لأنها بدت أكثر تحشماً منهن. فهل يعني أن نزهون هي الأخرى مصابة بـ (Homosexuality) !!!

أما علاقة مهجة القرطبية بولادة فلم تكن إلا علاقة طالبة باستاذه . دخلت عليها (٦) لتتلقى دروساً في الشعر وبعد أن لمست ولادة منها استعداداً وجرأة (تولت تعليمها) و (لازمت تأديبها) (٧). ويبدو أن تدريسها لها كان أثناء فترة صلاتها بابن

(١) الإحاطة : ج ١ ص ٤٣٨.

(٢) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٤٨١ - ٤٨٢.

(٤) النفر: ج ٥ م ٣ ص ٣٣٩ نقلاً عن المغرب.

(٥) انظر الإحاطة : ج ١ ص ٤٣٣ - ٤٣٥.

(٦) المغرب: ج ١ ص ١٤٣.

(٧) المصدر نفسه: والصفحة نفسها. نزهة الجلساء: ص ٩٣. وانظر النفر : ج ٦ م ٣ ص ٢٨.

زيدون. فولادة توفيت (٤٨٤هـ) (١) ومهجة كانت وفاتها (٤٩٠هـ) (٢) فهما متقاربتان في عمريهما. وليس لدينا أي شك في أن التعلم يحصل في مرحلة الصبا والشباب. فتبين لنا بأن ولادة درست مهجة أثناء انشغالها بابن زيدون. (وصلاتها به تقطع بانوثبتها الطبيعية). ثم ان هذا الاتهام دفعته مهجة بهجائها لولادة حين اتهمتها بـ (Heterosexuality) (٣) الجنسية المغايرة. وكما قيل:-

وإذا أراد الله نشر فضيلة

طويت أتاح لها لسان حسود

وسنذكر البيتين في الهجاء من شعر النساء.

ومن تعليقات الهلالي في إثبات تهمه لولادة يذكر (بأن الرواة لم يسجلوا إلا الأخبار والحوادث التي تقع تحت حواسهم ، وتتركها عقولهم ويرتضيها وجدانهم فهم أناس ذوو إيمان وعقيدة صادقة، لا يريدون عن طريق التاريخ والأدب تحمل الآثام والذنوب بتسجيلهم الأخبار التي لا يرتضونها، والروايات التي لا تقبلها عقولهم) (٤). لكننا لمسنا عكس ذلك - فتراهم قد سلطوا الأضواء على الجوانب المظلمة من شعرهن وأحاديثهن، فالمساجلات الشعرية التي دارت في مجالسهن حوت الدرّ والمُخشَلَب. ولكن غلبة المُخشَلَب جاء واضحاً في شعرهنّ وحديثهنّ فقد سجّلوا الأشعارَ والأحاديثَ والحوارَ المقذع بكل تفاصيله ولو إطلع عليه القارئ لثار أشمزازه من مجالسهم، بالوقت الذي طوى المؤرخون أحاديثهنّ وأشعارهنّ الرزينة، وطرفهنّ ونوادرهنّ الحكيمة والتي لو نقلت لأضاءت كثيراً من جوانبهنّ النفيسة ولزالت الإشكال الذي نحن بصددده في قلة أخبارهن. وما حصل مع ولادة في

(١) ديوان ابن زيدون: ص ٣٥.

(٢) الإعلام : ص ٧١ - ٣١١.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٣٨.

(٤) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص ٢٠ - ٢١.

إضراب ابن بسام (عن ذكر أشعارها، وطوبىها بأسرها)^(١). وهي إينة خليفة، حصل مع غيرها من بنات العامة. ولو كان لها سلوك غير طبيعي، لأسرعوا في تهويله وتلذذوا في تجسيده ونقله إينا، وتناقلت الأقاليم كما حدث في سيرة والدها حيث أجمع الرواة على أنه (ساقط الخلق. عاهر الخلوة، أسير الشهوة لا يهمة سوى بطنه و...)^(٢) ولا سيما وهم أساتذة في إطفاء الجوانب المضيفة المشرقة لشعر المرأة ونتائجها. ومع ذلك نراهم قد أجمعوا على اشتهاها (بعلو نصاب وكرم انساب. وطهارة أثواب)^(٣) و (الصيانة والعفافة)^(٤).

أما التعليل الآخر الذي جاء به الهلالي^(٥) في إتهامه لها بالجنسية المثلية. هو النظرة السطحية التي نظرها إلى حديث الرواة دون تمحيص، وتدقيق حيث ادعى أنهم نقلوا أخبارها على مضمّن فأكثرنا من عبارة (عفا الله عنها - أو تغمد زلتها)^(٦) ... ولكننا نرى أن هذا أكثر منه الرواة كانت عادتهم تكرار كلمة (عفا الله عنها). و(غفر الله له) وهو على ما نعتقد من باب (الدعاء له) وليس (الدعاء عليه). ولقد أشار إلى ذلك ابن دحية^(٧) الكلبي المتوفى سنة (٦٣٣هـ) قائلاً (ويتهاك أفراد الشعراء من الكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة منتابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وسمو أحساب على أنها - سمح الله لي ولها - وتغمد زللي

(١) النخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٢.

(٢) النخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٤. البان المغرب: ح ٣ ص ١٤١. وانظر سيرته في أعمال الاعلام: ص ١٣٦. النفح: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٨.

(٣) النخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩.

(٤) فوات الوفيات والذيل عليها: ح ٤ ص ٢٥١. النفح: ح ٥ م ٣ ص ٣٣٩. الدر المنثور: ص ٤٤٥. اعلام النساء: ح ٥ ص ١٧٧.

(٥) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص ٢٠.

(٦) المصدر نفسه: ص ٢١.

(٧) المطرب: ص ٨.

وزللها- أطرحت التحصيل، وأوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها للذاتها) (١) فهل يعني هذا أنّ ابن دحيمَةَ الكلبي قد زلت قدمه ويطلب الغفران، أو أنّه أصيب بمرض ولادة أو أُتهم باتهامها ويبتهل إلى الله بالسماح وتغمد الزلل...؟ الجواب لا ولكن من عادة رواة الأندلس. في نقل الأخبار هو الإستطراد وتثبيت الجمل الاعتراضية التي تُفيد الدعاء لصاحب الخبر وليس الدعاء عليه.

أما ابن بسام (٢) فقد نقل لنا أخبار ولادة وذكر البيتين الشعريين اللذين كتبتهما على عاتقي ثوبها ثم قال (هكذا وجدت هذا الخبر وأبرأ إلى الله من عهدة ناقلية) (٣) وإلى الأدب من غلط النقل إن كان وقع فيه) (٤) فهو يبرئ نفسه من أخطاء نقل الرواة للأبيات والخبر، ولم يقصد أن ولادة كانت تعاني من (أمراض) وأن الرواة اتهموها بذلك وهو يبرئ نفسه من هذه التهمة. كما صورها الباحثون.

ونصّ ابن بسام: (وكانت في نساء زمانها واحدة أقرانها، حضوراً شاهداً، وحرارة أوابد، وحسن منظرٍ ومخبرٍ وحلاوة موردٍ ومصنرٍ. وكان مجلسها بقرطبة منتدى لأحرار المصر وفناؤها ملعباً لجياد النظم والنثر، يعشو أهل الأدب إلى ضوء غرّتها، ويتهالك أفراد الشعراء والكتاب على حلاوة عشرتها، إلى سهولة حجابها، وكثرة متابها، تخلط ذلك بعلو نصاب، وكرم أنساب، وطهارة أثواب على أنها - سمح الله لها - وتغمد زللها - أطرحت التحصيل (واوجدت إلى القول فيها السبيل، بقلّة مبالاتها، ومجاهرتها بلذاتها. كتبت - زعموا - على أحد عاتقي ثوبها) (٥) :-

[الوافر]

(١) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٢) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠.

(٣) المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٤٣٠.

(٤) المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٤٣٠.

(٥) المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٣٢٩ - ٤٣٠.

أنا والله أصلح للمعالي

وأمشي مشيتي وأتبه تبيها

وكتبت على الآخرة:- [الوافر]

وأمكن عاشقي من صحن خذي

وأعطي قبلي من يشتهيها

ففي نصح لا نجد أي اتهام لهذه المرأة بل نجد اعتراف بتساونها وطهارتها وعلو منزلتها. وقد قصد بـ (قلة مبالاتها) لأنها فتحت أبواب قصر أبيها للرجال وجعلته منتدياً للشعار. ومجلسها لا يحضره إلا كبار الوزراء والشعراء فكانت لا تبالي بجلوسها معهم. ومساجلاتها هم. على ما نعتقد إن كل هذه الاتهامات التي وجهها المحدثون إليها كانت بسبب الأبيات الشعرية التي كتبتها بالذهب على فستانها. فقد لاحظنا نص ابن بسام حيث ذكر وأوجدت إلى القول فيها السبيل (بقلة مبالاتها ومجاهرتها بلذاتها) ^(١) ثم يذكر الأبيات بعد قوله بمجاهرتها بلذاتها ^(٢). إذن اتهامها باللامبالاة والإبتعاد عن الحياء، والطعن في أنوثتها، بسبب تقليعة الملابس ومجاراته العصر ومسيرة الأناقة بعد أن عرفنا شيوع الكتابات وتطريزها ووشيها على الملابس. فلو ألقينا نظرة على البيتين، نجدها أقسمت جازمة بذات الله، أنها تصلح لمعالي الأمور، اعتداداً وثقة بنفسها متغنية بجمالها ودلالها ورقة طبعها، شاهداً على رفعة أخلاقها الصالحة للعلياء... ومن المعروف أن طريقة السلام عند المغاربة لحد الآن هو طبع القبلات على الخدود والتي تقوم مقام المصافحة باليد عند المشاركة. فالتبلة على الخد مباحة في السلام ^(٣).

ولما كانت ولادة صاحبة القصر، ورئيسة المتدى، وشاعرة مشاركة في قصائدها.. لذا يقوم المحتفلون بتهنئتها وتشجيعها وتوديعها بعد خروجهم، بطبع

(١) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٩.

(٢) المصدر نفسه: والصفحة نفسها.

(٣) إلفي يروفنسال: سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها: ص ١١ القاهرة -

القبلات على خدها... ولا يغرب عن بالنا بأنه لم يذكر أحد من المؤرخين أن ولادة ارتدت ذلك الفستان وتسكنت في شوارع قرطبة وقد ورد بيت من الشعر في القلائد قد يؤيد صحة ما ذهبنا إليه يقول^(١):- [البسيط]

طَرَزَتْ ثَوْبَ المعالي بَعْدَمَا دَرَسَتْ رُسُومَهُ فَأَتَانَا مُعَلِّمُ الطَّرَرِ

لذا يتضح لنا أن الفستان الذي طَرَزَ بالذهب إتخذته زياً خاصاً لها في مجالسها لتثير بين الحضور التنافس في حبها، ولتحرص على قربهم منها، ليزدادوا كلفاً وتسيحاً بحمدها، وربما اتخذته لتكون لها علامة مميزة عن بقية الشواعر في التدريس والإفتاء.

إذا أعدنا النظر في البيتين ثانية، ألفينا ما يدل عليها من أحلام وأمان بعيدة، كان يجيش بها صدرها وتتطوي عليها نفسها الوثابة التي لم تقف عند حد. على أنها كانت تطمح إلى غاية يصغر أمامها كل ما أدركته، وربما المنصب في الحكم لتعيد مجد والدها. فكانت تمنى نفسها بالتغلب على الرجال. وذكر المستشرق الفرنسي هنري بيريس في بحثه (المرأة والحب في القرن الحادي عشر) لقد أظهرت مهجة القرطبية في قصائدها عنف ولادة نفسة تجاه علاقتها بالرجال. وقد أطلق على هاتين الشاعرتين اسم (النساء الأمزونيات) مُعقِباً على قوله قائلًا لأنهما لا يُفصِحْنَ الآ بالقليل عما يدور في قلوبهما^(٢). وقد بحثنا عن كلمة (AMAZON) فإذا هي أسطورة اغريقية عن النساء، ويُعتَقَدُ أن قصة هذه الأمزون عبارة عن قصص مختلفة، حيث كل شيء يُعمل بطريقة خاطئة، مثل ذلك أن النساء يحاربن. وهذا شيء من مهمة الرجال^(٣).

(١) قلائد العقيان: ص ١٢٦: ط. مصر، التقدم العلمية - ١٩٦٤ والبيت للشاعر أبي أمية إبراهيم بن عصام على ما جاء في القلائد.

(٢) الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٤٢٩.

(٣) Encyclopadia - Britanniga, P. ٢٩٢-U.S.A. - ١٩٧٤

وَيَرَفَعُ نِيكُلٌ أَصْبَعُ الْإِتْهَامِ ضِدَّ وَوَلَادَةَ الَّتِي يُنْكِرُ سَلُوكَهَا سَلُوكَ بَعْضِ الْفَنَانَاتِ
وَالْمُمَثِّلَاتِ، وَيَقُولُ الْبَاحِثُ الْأَلْمَانِي فَيْلَهُمْ ^(١) هُوَيْنِرْبَاخُ: (إِنَّ الْقَرْنَ الرُّومَانِيَّةِ رَأَى
فِي وَوَلَادَةَ الْمَرْأَةَ ذَاتَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ وَعَصَرْنَا الْوَاقِعِي يَكْشِفُ فِيهَا (الْمَرْأَةَ الْمَتْحَرَّةَ)
وَيَقُولُ شَاخُ (الْجَمِيلَةَ وَالرَّصِينَةَ وَوَلَادَةَ) بَيْنَمَا يُوْجِهُ لَهَا كُورَ سَنَةِ ١٩٢٠ نَقْدًا يَسْتَعْمَلُ
فِيهَا نَبْرَةَ تَخْتَلِفُ تَمَامًا. وَأَخْفَقَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ ^(٢) فِي تَفْسِيرِ آرَاءِ الْمَسْتَشْرِقِينَ
وَاتَّخَذُوا رَكِيزَةً فِي اتِّهَامِهِمْ لِشَاعِرَةِ عَفِيفَةٍ شَرِيفَةٍ. فَاعْتَمَدُوا عَلَى قَوْلِ غَرَسِيَّةِ
غُومَسَ فِي نَعْتِهِ لَوَلَادَةَ كَانَتْ إِمْرَأَةً (رَجَلَةً) ^(٣). وَلَمْ يَمَعْنُوا النَّظَرَ فِي النَّصِّ كَامِلًا
حِينَ قَالَ: (وَمُحِبُّوبَتِهِ هِيَ وَوَلَادَةُ وَكَانَتْ أَمِيرَةً مِنْ صُلْبِ مَلُوكٍ، وَلَكِنِهَا كَانَتْ إِمْرَأَةً
رَجَلَةً بِالْغَةِ الظَّرْفِ وَالْأَنَاقَةِ) ^(٤) .. وَيَبْدُو أَنَّ غَرَسِيَّةَ غُومَسَ كَانَ قَدْ قَرَأَ فِي شِعْرِهَا
سَبًّا وَكَلَامًا فَاحْشًا يَبْتَعِدُ عَنِ قَوْلِهِ الرِّجَالُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَاطَّلَقَ عَلَيْهَا كَلِمَةَ (رَجَلَةً). أَوْ
أَرَادَ بِرَجَلَةٍ (أَنَّهَا ذَاتُ شَخْصِيَّةٍ قَوِيَّةٍ مُتَسَلِّطَةٍ، بِالْغَةِ الظَّرْفِ وَالْأَنَاقَةِ) لَمَّا وَجَدَ فِي
أَشْعَارِهَا مِنْ بَعْضِ الْغَرِيبِ الْمُسْتَكْرَهِ الَّذِي لَا مُوسِيقِيَّةَ فِيهِ وَلَا رِقَّةَ وَلَا لِينًا. عَلَى
الرَّغْمِ مِنْ كَوْنِهَا بِنْتٌ مِنْ صُلْبِ مَلُوكٍ لَمَّا عَرَفَ عَنِ بَنَاتِ الْمَلُوكِ مِنْ رِقَّةِ الْأَلْفَاظِ
وَنَعُومَتِهَا. فَمَا جَرَى عَلَى لِسَانِهَا مِنْ أَقْوَالٍ لَا تَلِيْقُ أَنْ تَصْدُرَ مِنْ أَمِيرَةٍ مِثْلِهَا. فَهِيَ
(رَجَلَةٌ) فِي أَلْفَاظِهَا لَيْسَ إِلَّا .. فَنَصَّ غُومَسُ وَاضْحًا وَلَكِنْ فَسَّرَهُ الْبَاحِثُونَ الْمَحْدَثُونَ
عَلَى أَهْوَائِهِمْ لِيَبْرُرُوا شُكُوكَهُمْ، وَمِنْ هَذِهِ التَّبَرِيرَاتِ يُنْبَلِقُ الْهَلَالِي بَعْدَ كُلِّ الْإِدْعَاءَاتِ
يَطْرَحُ سَوْأَلًا قَائِلًا: -

(وَرَبَّ سَائِلٍ يَسْأَلُ .. لِمَاذَا لَمْ يُشِيرْ مُؤَرِّخُو الْأَدَبِ، الْعَرَبُ الْأَقْدَمُونَ، إِلَى هَذِهِ
النَّاحِيَةِ، إِشَارَةً وَاضِحَةً الْعِبَارَةِ؟) ^(٥).

(١) فَيْلَهُمْ هُوَيْنِرْبَاخُ مَجَلَّةُ الْأَنْدَلُسِ: ص ٤٦٧ - ٤٦٨.

(٢) وَوَلَادَةَ وَأَثَرُهَا فِي حَيَاةِ ابْنِ زَيْدُونَ: ص ٢٤. الشُّعْرُ النَّسُوبِيُّ: ص ٤٤.

(٣) غَرَسِيَّةَ غُومَسَ: الشُّعْرُ الْأَنْدَلُسِيُّ: ص ٤٩.

(٤) الْمَصْدَرُ نَفْسُهُ: وَالصَّفْحَةُ نَفْسُهَا.

(٥) وَوَلَادَةَ وَأَثَرُهَا فِي حَيَاةِ ابْنِ زَيْدُونَ: ص ٢٠.

والحقيقة أن الأقدمين لم يُشيروا إلى هذه الأمراض والصفات، لا إشارة واضحة ولا خفية. وكيف يُشرون إلى إدعاءات لا وجود لها أصلاً.. ألحقها المحدثون بها وأسرفوا فيها.

والقضية الأخرى التي إتخذها الباحثون^(١) لشكوكهم هو موقف ولادة من الزواج فقال: (أما مَوْقِفُ ولادة، فما يزال يُعْتَرِيهِ جانبٌ كبير من الغموض فإنها فتاةٌ تمتازُ بالجمالِ الفَتانِ، والحسبِ العريضِ، والمالِ الوافرِ والمواهبِ الفنيّةِ الممتازة، يطمعُ في ودّها الرجالُ لتُصرفهم بعنفٍ وكبرياءٍ.. وهي بعدُ كلّ هذا، تظلّ عانساً حتى تتجاوز الثمانين أو تُشارف المائة. ولو شاءت الزواج لوجدت أكرم الأكرام)^(٢) ... ولكننا لا نستغرب لظاهرة العزوف عن الزواج في فترة بلغ الترف والأنس أوجه وفي مجتمع أصبحت المرأة نداءً للرجل تُجالسه وتتأطره وبلغت من الثقافة والإدراك العقلي والوعي بحيث أصبحت المرأة المتقفة يتنافس الرجال عليها ولكنها لم ترتبط لكفاءتها العقلية وطوحها... وهذه الظاهرة لمسنا جذورها عند شاعرات القرن الرابع أمثال عائشة^(٣) القرطبية التوفيت سنة (٤٠٠هـ) وهي عذراء. والتي أجابت خطابها^(٤) بهذا الأسلوب معلنة أنها غلقت أسماعيها عن الأسود من الرجال: [الطويل]

أنا لَبِوةٌ لَكُنْتِي لست ارتضِي
نَفْسِي مُنَاخاً طُولَ دَهْرِي من أَحَدِ
وَلَوْ أَنَّنِي أَخْتَارُ ذَلِكَ لم أَجِبْ
كَلْباً وَكَمْ غَلَقْتُ سَمْعِي عن أَسَدِ

(١) انظر علي عبد العظيم: ابن زيدون، عصره، حياته، أدبه، ص ١٧٤. وانظر ولادة وأثرها في

حياة ابن زيدون : ص ٢٣. والشعر النسوي: ص ٧٧.

(٢) ولادة وأثرها في حياة ابن زيدون: ص ٢٣ نقلاً عن علي عبد العظيم ص ١٧٤.

(٣) انظر التمهيد في مبحث الحرائر من هذا الفصل.

(٤) نزهة الجلساء: ص ٧١ - ٧٢. النفح: ح ٦ م ٣ ص ٢٦.

ويبدو امتدادها واضحاً عند النسوة الحرائر من الشواعر أمثال مريم بنت^(١) أبي يعقوب التي منحت الملوك وجاوزت السبع والسبعين واحتشمت لدينها وأشبهت مريم العذراء، ولم تتكح. وخطب نزهون رجل قبيح^(٢) فقير الحال. وذكران حبه فيها قاده إلى خطبتها. فهجته بأبيات سوف نذكرها لاحقاً.

ولم يشر المؤرخون إلى ارتباط نزهون فتبدو هي الأخرى عازفة عنه. ولربما لم يتوافر الكفو لها. وكذلك بالنسبة لمهجة القرطبية. أما ولادة، فناهيك عن عزوفها.

ولادة التي كانت تروم المناصب، وإعادة الأمجاد، وتحلم بملك الأمويين، وتمني نفسها بالتغلب على الرجال. قد يكون هذا سبباً في عزوفها. ولا ندري قد يكون إخفاقها في حبها لابن زيدون وميله لجارتها (عتبة). بعد أن وهبت قلبها له. فظهرت خيانتها فألت على نفسها عدم الزواج.. صرفت نظرها وفكرها عنه. ويبدو أن الشواعر كن أقصى ما يطمحن إليه هو أن يحصلن على القاب باسم شواعر مشرقيات مشهورات فقد حصلت ولادة على لقب (علية المغرب) وجاء في المغرب (أنها بالغرب كعلية بالشرق)^(٣) لكن ولادة فاقتها بحسنها ولم تقصر عنها بأدبها وشعرها ونادرتها وخفة روحها^(٤).

(١) جذوة المقتبس: ص ٣٨٨ ترجمة ٩٨٦. بغية الملتمس: ص ٥٢٨. الصلة: ص ٢ ص ٩٦٤. نزهة الجلساء: ص ٩٠. الدر المنثور: ص ٥١٠. إعلام النساء: ص ٤٧.

(٢) بغية الملتمس: ص ٥٣٠. طبعة مدريد.

(٣) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣١.

(٤) النفع: ص ٣ م ٣٣٩.

علية: هي علية بنت المهدي سيدة عباسية جلييلة ولدت سنة ١٦٠هـ. كانت من أحسن النساء وأظرفهن وأعقلهن، ذات صيانة وعفة وأدب بارع. تقول الشعر وتصوغ فيه الألحان الحسنة، انظر أشعار أولاد الخلفاء: ص ٥٥. نزهة الجلساء: ص ٨٠ - ٨٦. (وقعت وفاتها في البصائر والذخائر ص ٧٤) سنة ٢٢٠هـ. وانظر النفع: ص ٣ م ٣٩٩. الاعلام: ص ١٠٨.

أما الألفاظ التي رددتها في أشعارها قد تكون نتيجة شُبع المرأة بألفاظ الرجال من خلال اختلاطها بهم وانتصارها عليهم في الآداب والشعر، جعلها تتلفظ بألفاظهم وتتطق بأفكارهم وترد عليهم بمستوى عقولهم. وعلى ما نعتقد أن المرأة سُجلت لها أشعار نستدل من ورائها انها كانت تعتقد كلما ازدادت في انحطاط أسلوبها وألفاظها كلما تعاضم نفوذها. مما ساعد ذلك على انحطاط الشعر ولا سيما الهجاء وتقهره بهذه الكلمات . وكان رأي المحدثين يعوزه المستند التاريخي الذي يعززه، وبعد أن توافرت الأدلة التاريخية التي لا تدع مجالاً للشك في صحة تصاون ولآدة، حتى في علاقتها مع ابن زيدون ... وقد أشارت هي إلى ذلك بقولها^(١) :- [الكامل]

إني - وإن نَظَرَ الأناْمُ يَبْهَجْتِي كظباءِ مَكَّةَ صَيِّدُهُنَّ حَرَامُ
يُحْسِنُ من لِينِ الكلامِ فواحِشاً وَيَصِدُّهُنَّ عن الخنا الإسلامُ

على ما يبدو كانت متصاونة فزادتهم إنجذاباً إليها. ويظهر أن علاقتها لم تشبها شائبة لقوله^(٢) :- [المتقارب]

وصانَكَ مِنِّي وَفِيَّ أَبِيُّ لِعَلِّقِ العِلاقَةَ أَنْ يَبْتَدِلَ^(٣)

ويقول فيها أبياتاً تثبت شرقها. بعد أن علم بميل ابن عبدوس (ت ٤٧٢هـ) لها :- [المتقارب]

لعمري لَفَوَّقْتَ سَهْمَ النضال وأرسلتُهُ لو أصنبتَ الغرضَ
وشمَّرتَ للخوضِ في لُجَّةِ هي الموتُ ساحلُها لم يُخضِي^(٤)

(١) ديوان ابن زيدون : ص ٣٠ علي عبد العظيم.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ١٨٨ وانظر الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٢٤.

(٣) العِلاقَةُ : علق فلان وبه منها علاقة وعلق وفي مثل (نظرة من ذي علق) أي من ذي حب قد علق بمن يهواه - صاحب العين - علق بها علق وعلقها علق وعلاقة وعلاقة. انظر المخصص. السفر الأول، المجلد الأول: ص ٦٠.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٣٩٦.

وَعَرَّكَ مِنْ عَهْدِ وِلَادَةٍ سَرَابَ تَرَاوَى وَبَرَقَ وَمَضَى
هِيَ الْمَاءُ يَأْبَى عَلَى قَابِضٍ وَيَمْنَعُ زَبَدَتَهُ مِنْ مَخْضٍ

وربما كان ابن زيدون يَنْظُمُ قصائد وينسج قصصاً من خياله لولاه بتلك
المرأة.

ويبدو أنه يم ينل منها شيئاً لقوله^(١): - [المقارب]

أَلَمْ أَرْضَ مِنْكَ بِغَيْرِ الرَّضَى وَأُبْدِي السُّرُورَ بِمَا لَمْ أُنَلْ؟

ولقد أورد صاحب القلائد قولاً جعلنا نشك في بعض أشعاره التي قالها فيها،
فقد يَكُونُ تخيلاً من نَسَجِ الخيال (وكان يَكْلَفُ بولادة بنت المهدي ويهيم ويستضيء
بنور تخيلها في الليل البهيم)^(٢).

ولا سيما إذا علمنا أن شعر مرحلة الشباب ضاع أكثره والذي وصل إلينا من
شعره كان بعد نفيه من قرطبة.

لقد أحب ولادة رجال عصرها كما أحبها الناس وأحسنوا الظن بها. وربما
صحبه هذا الشعور في عهد حداثتها وشبابها كان له الأثر الكبير على شخصيتها
(فخلق منها قوة الشخصية. واستقلال الرأي)^(٣). وأعطتنا أفضل مثال على حرية
المرأة المسلمة في إسبانيا)^(٤). إن ولادة المطبوعة على الشعر المولعة بالموسيقى
الميالة للإنطلاق تحدث تقاليد الأمويين بعد وفاة أبيها^(٥). وقد عزا كل ذلك المستشرق
الكبير (نيكل) إلى نزوات الشباب قائلًا (تكاد نزوات ولادة لا تختلف كثيراً عن

(١) الديوان : ص ١٨٨. النخيرة : م ١ ق ١ ص ٤٢٤.

(٢) قلائد العقيان : ص ٨٢ ط. مصورة عن طبعة باريس تقديم محمد العتاي.

(٣) مجلة الكتاب: ص ٣٠١ لسنة ١٩٧٥.

(٤) هنري بيريس : الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٣٩٩.

(٥) المصدر نفسه : ص ٣٩٩. مجلة الكتاب: ص ٣٠١.

النزعات التحريرية التي تتجلى عند نجوم المسرح والسينما في عصرنا الحديث^(١) عدت ولادة نجمة من نجوم القرن الخامس الهجري .. لقد أثنى عليها المؤرخون إلا أن أبا عبد الله جعفر بن محمد بن محمد بن مكي المتوفي سنة (٥٣٥هـ) عندما وصف بلاغتها وجزالة منطقتها عاب ألفاظها البعيدة عن التصاون والتي لا تتناسب علو شرفها ورفعة مكانتها. حيث قال: (يصفُ نباهتها وفصاحتها وحرارة نادرته وجزالة منطقتها وقال: لم يكن لها تصاون يطابق شرفها)^(٢) وكان لها مداعبات مع الأدباء^(٣) أكثرها في الهجاء^(٤). ولم يصل إلينا من هجائها إلا نزرٌ قليل.

لم يصل إلينا من شعرها إلا عشرون بيتاً. فنتساءل؟! أين ذلك الشعر الوجداني الرقيق الذي صدر عن شاعرة أميرة مكلومة الفوائد مطعونة في كرامتها مع جارية وخدمة سوداء؟ هل يصح!!! إن الشاعرة العملاقة لم يهزها ذلك الموقف المؤلم بتفضيل أئمة النساء على حبها!! أين الثرى من الثريا؟ لقد عَشَقَتْ ولادة وأذلت، فجاء شعرها جامعاً ذلّ العشق وذلّ الحبيب. وهذا على ما نعتقد أرق ما يصدر عن امرأة.

فلا بد من أن هذه الشاعرة المطبوعة كشفت بنباهتها وحرارة نادرته في الرجال أبعاد نفسياتهم وطبيعة غريزتهم وصفات غدرهم وخيانتهم وتخليهم عن حبيبتهم بهذه البساطة مع أئمة النساء. مما دعا المؤرخين وعلى رأسهم ابن بسام^(٥)

(١) مجلة الكتاب: ص ٣٠٢.

(٢) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص ٨.

أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي: من أهل قرطبة كان عالماً بالآداب واللغات ذاكرة لها ضابطاً لجميعها. ولد بعد الخمسين وأربعمائة وتوفي سنة (٥٣٥هـ).

(٣) الدر المنثور: ص ٤٤٩. انظر أشعارها في كتب التراجم وديوان ابن زيدون: ص ٣٣ - ٣٤ - تحقيق علي عبد العظيم.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٢.

(٥) المصدر السابق نفسه: والصفحة نفسها.

(٥٤٢هـ) أن يضرب عن ذكره ويطويه بأسره ويتعصب لأبناء جنسه. ولولادة
حكايات غير ما ذكر في جملة كتب متفرقة لم يكن الحصول عليها ميسوراً لعزّة
وجودها.

مفتاح تمرکز شواعر عصر الطوائف في المدن الأندلسية :-

(١) شواعر شبيلية:-

أ- العبادية.

ب- اعتماد.

ج- بثينة.

د- مريم بنت يعقوب.

(٢) شواعر قرطبة:-

أ- ولادة.

ب- مهجة.

ج- عتبة.

د- أنس القلوب.

(٣) شواعر المرية:-

أ- غاية المنى.

ب- أم الكرام.

ج- الغسانية البجانية.

(٤) شواعر غرناطة:

أ- نزّهون.

ب- قسّمونة..

(٥) شواعر وادي الحجارّة :-

أ- أم العلاء بنت يوسف الحجارية.

انظر الخارطة في الصفحة الآتية:

obeikandi.com

